حسن نصر الله

ثائر من الجنوب

د. رفعت سيد أحمد

www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^

القصة الكاملة

دار الكتاب العربي

حسن نصر الله
ثائر من الجنوب

د. رفعت سيد أحمد

■ **هذا الكتاب**

فى إحاطة وإلمام سياسى وإنسانى رائع ، يقدم الكاتب والمفكر المصرى د . رفعت سيد أحمد، فى كتابه هذا، سيرة المجاهد الكبير حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، ويقدم قصة صعود وانتصار حزب الله، وجناحه العسكرى (المقاومة الإسلامية) على العدو الصهيونى وتحريره الجنوب اللبنانى من براثنه وعملائه بقيادة الجنرال المتصهين أنطوان لحد . وفي هذا الكتاب نقرأ قصة العبور اللبنانى من نيران الفتنة والحرب الأهلية إلى رحابة الوحدة و التضافر خلف الحزب المنتصر (حزب الله) الذى علم وتعلم التدريب الصحيح للأولويات، وإلى من يوجه الرصاص، فى تلك الحرب المفتوحة مع الاحتلال التي تؤازره و لاتزال أعتى إمبراطورية عسكرية فى العالم.

و يتعرض الكاتب بالوثائق لمرحلة ما بعد اغتيال رفيق الحريرى، وأبعاد المؤامرات الأمريكية الإسرائيلية على سوريا و لبنان و بالتأكيد على حزب الله الذى مثل - ولايزال - رأس الحربة للنضال العربى و الإسلامى ضد أركان هذه المؤامرة، ويقدم لنا المؤلف عبر تحليل دقيق رؤى السيد حسن نصرالله لفتنة ما بعد اغتيال الحريرى منفذاً حجج دعاة الهزيمة من الساسة و الكتبة الذين يمثلون طابوراً خامساً ضد أمتهم ، وضد رموزها المضيئة والذين يأتى (حسن نصر الله) فى القلب منهم. إننا أمام عمل هام بكافة المعايير ، عمل شامل ولأول مرة، يقدم من خلاله قصة ثائر من الجنوب، الجنوب اللبنانى و الجنوب الإسلامى والجنوب العربى ثائر ضد غزاة الشمال ، الشمال الأمريكى/ الأوروبى / الإسرائيلى، انه الثائر المعمم / حسن نصر الله وما أجمله من ثائر ، و ما أقدسها من قصة .

977-376-206-8

KAMEL GRAPHICS

لماذا هو ثائر من الجنوب ؟

عندما تتعرض أمة لغزاة متوحشين ، وتُتهم مقاومتها ، بأنها إرهاب ، وينعت دينها بأنه دين عنف ، وتُنتهك مقدساتها وتحتل أرضها؛ عندئذ لابد من أن يبزغ من بين ظهرانيها ثائر ،وثائرنا جاء من الجنوب الإنسانى ، الجنوب الإسلامى والعربى ، جاء فى مواجهة غزاة الشمال " الأوروبى – الأمريكى – الإسرائيلى" ، وهو ثائر مُعمم ، تحمل ثورته عبق التاريخ ، وروح الحسين مخضّباً فى دمه، فى كربلاء ، ولأن كربلاء لاتزال حاضرة فينا وفى عالمنا المعاصر . كان لابد وأن يأتى حسن نصر الله ، الثائر المعمم لتلتقى الثورة بالعمامة مجدداً ، معلنة عن بدء عصر جديد من العزة والكرامة والانتصار ، انتصار لا يقبل الدنية فى الدين ، ولا فى الدنيا ، انه كتاب يلتقى فيه مجدداً "الحسين" بـ "الحسن" فى ثورة مُعَمَّمة آتية أيضاً من الجنوب : ألم تكن كربلاء فى الجنوب ؟!

(المؤلف)

www.liilas.com/vb3
IRAWAHFENA

مقدمة

حسن نصر الله : تحت العمامة ثائر

فى يوم مّا ...

وبعد أن يتغير التاريخ .. وتعاد كتابته من جديد ويتولى زمام قراءته الشرفاء ، سيذكر (السيد) كعلامة مهمة ، ليس فى تاريخ بلاده أو منطقته فحسب ، بل فى تاريخ العالم كله ، و" السيد " الذى نعنيه هو سماحة الأمين العام لحزب الله ؛ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله ، سيذكر السيد – والكلمة تعنى لدى الإخوة الشيعة أنه من نسل الرسول وآل بيته الأطهار (على – فاطمة – الحسن – الحسين)، سيذكر كرمز للعزة والكرامة حين يراد لهما أن يتجسدا فى سلوك أو موقف ، سيذكره التاريخ كواحد من كبار صنّاعه ، رغم صغر حجم دولته ، وقلة عدد مواطنيها وضعف بنيتها الاقتصادية والعسكرية ، وتناقض تركيبتها السياسية الطائفية ، لقد جاء " السيد " ليتجاوز كل هذا ، ويعيد للبنان مجده الذى سلب بالاحتلال والعمالة ، وليضع بلده الصغير فوق قامة الكبار ، ويجبر المتغطرسين منهم على الاعتراف به وبفضله .

* لقد مثّل (حسن نصر الله) ملحمة جهادية ، غيرت مجرى الحياة فى هذا الشرق الساكن ، الصامت ، المصاب بداء الاستكانة والخنوع ؛ ولم تكن ملحمة (نصر الله) مجرد انتصار عابر لحزب مجاهد قاده رجل قدوة ومثال ، بل كانت قصة حياة كاملة لخصت وكثفت التاريخ ، فى لحظة ؛ وأجبرت الطغاة على أن يتراجعوا ويكفوا عن فسادهم وطغيانهم فى الأرض .

* الأمر ليس أمر مبالغة : وبلاغة لفظية .. فالرجل الذى نتحدث عنه والذى وُلد فى العام ١٩٦٠ استطاع عبر ثلاثية من القيم أن يعيد كتابة التاريخ ، وأن يجعل من بلده (لبنان)،ومن حزبه (حزب الله) ومن مقاومته (المقاومة الإسلامية) رقماً صعباً ، على قوى الشر التى تريد إعادة ترتيب العالم انطلاقاً من هذه المنطقة ، أن تتجاوزه أو تغفله، بل يستحيل عليها أصلاً أن تؤسس لعالمها الجديد القائم على الإجرام والسرقة

www.liilas.com/vb3 RAYAHHENA

وتدمير الدول ، دونما الانطلاق من فرضية القضاء الكامل على هذا الحزب بمقاومته وسيدها. إن ثلاثية القيم التى أسسها حسن نصر الله مثلت استراتيجية جديدة لمن يريد الانتصار على عدو لا يحتل أرضه فحسب بل يحتل العقل والروح أيضاً ، ويجند من أصحابهم عملاء يزيد عددهم عن العشرين ألفاً فى بلد لا يتعدى عدد سكانه خمسة ملايين . " استراتيجية نصر الله " كانت تمثل قيم (الثقة فى نصر الله – التضحية والقدوة – ترتيب الأولويات) أعمدتها الرئيسية ، التى إن امتلكها أحد فإنه حتماً سينتصر تماماً مثلما امتلكها وآمن بها (أبو هادى) " وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين " صدق الله العظيم

[سورة الروم – آية ٤٧].

****

(١)

* يحدثنا التاريخ اللبنانى الحديث ، أن إسرائيل دخلت لبنان عدة مرات غازية ومحتلة، منذ العام ١٩٤٨ إلى أواخر السبعينيات (تحديداً عام ١٩٧٨) حين غزت لبنان وبقوة ودمرت كعادتها وطبيعتها الزرع ، والبشر ، ومرافق الحياة ، ثم عادت بعد أربع سنوات عام ١٩٨٢ لتقوم بغزوها الأكبر الاستيطانى ، ولتصل إلى قلب بيروت ، بحجة مطاردة المقاومة الفلسطينية التى كانت تقيم وقتها فى لبنان وتشن من خلالها عمليات مسلحة – محدودة الأثر – على العدو ، وحاصرت مقرات ياسر عرفات وفصائله فى بيروت وضواحيها إلى أن استسلم وتم ترحيله وتوزيع قواته على ٩ دول عربية ، وخضعت لبنان وسياسيوها لبطش المحتل الذى كان يتجول مطمئناً فى شارع الحمراء والضاحية الشرقية متخذاً من فندق الكسندر مقراً عسكرياً له ، ساعتها ضرب اليأس والإحباط نفوس العديد من القوى التى كانت تقاتل قبل ذلك ؛ إلى حد أن بعضهم – ومنهم الشعراء من اليسار – انتحر يأساً وقنوطاً وكأن هذا هو السبيل لرفض الاحتلال ، وبعضهم الآخر انتظم فى مقاومة سرية غير فعالة وعشوائية لم تؤثر فى مسار الاحتلال وركائزه .

* هنا ...

* وهنا فقط ولد حزب الله ، ولد كرد فعل طبيعى على إخفاق البدائل الأخرى فى المقاومة أو ضعفها أو انتحارها على أبواب الاحتلال ، ولد وسط حالة إحباط وقنوط ولد مع هبّة الثورة الإسلامية فى إيران التى ساهمت فى خلق جيل جديد من الإسلاميين الثوريين ، ونشرت مع رياح تمردها ، قيماً وثقافة جديدة ، تحتل " المقاومة " سلم أولوياتها ؛ وفى البقاع الغربى ، تحديداً فى مدينة (بعلبك) تشكلت النواة الأولى لهذا الحزب الفتى ومقاومته المسلحة ، تلك المقاومة التى بدأت فى العمل فى الأيام الأولى التى تلت سقوط بيروت ، وارتبطت المقاومة بالسلاح ، مع نشأة الحزب ،والذى لم يعلن عن اسمه إلا بعد سلسلة من العمليات البطولية الفذة وعلى رأسها كانت عملية فاتح عصر الاستشهاديين الشهيد أحمد قصير يوم (١٩٨٣/١١/١١) حين فجر نفسه وهو يقود سيارة محملة بمئات الأطنان من المتفجرات ، مقر الحاكم العسكرى الإسرائيلى فى صور ، فاهتز الجنوب لدوى انفجارها ، بما فى ذلك قريته المجاورة وفرح اللبنانيون بما فى ذلك والد الشهيد (الذى التقاه كاتب هذه السطور لاحقاً) والذى لم يكن يعلم أن ابنه هو من قام بهذه العملية النوعية الفذة إلا بعد عامين على استشهاده، حين أبلغه قادة الحزب الجديد الذى أعلن عنه قبل أيام بذلك ، ونقصد به (حزب الله) .

****

(٢)

* إذن تشكل الحزب ، وتشكلت مقاومته المسلحة أو جناحه المسلح (والذى سُمى بالمقاومة الإسلامية) فى أتون الحرب ، ووسط القصف والدماء وكان من بين أبرز المؤسسين فى الاثنين الحزب والمقاومة ؛ السيد حسن نصر الله ، والذى لفت الأنظار مبكراً لنبوغه وعلمه وإخلاصه وجهاده ، لقد أحبه معلماه البارزان الشهيدان (الشهيد الشيخ راغب حرب شيخ المقاومة فى الجنوب الذى استشهد عام ١٩٨٤) والشهيد السيد عباس الموسوى الأمين العام السابق لحزب الله والذى استشهد فى فبراير / شباط ١٩٩٢ ، لقد غرسا فيه قيم التضحية والفداء ، والوعى المبكر بخنادق الأعداء

والأصدقاء ولعبت نظرية التحدى والاستجابة التى أسسها العالم والمؤرخ الانجليزى الأشهر أرنولد توينبى ، دورها ، فحينما يوجد تحدٌ تخلق الاستجابة له ، ولبنان وقت بزوغ نجم " السيد " كان يعيش لحظة تحد كبرى من أهم لحظات تاريخه الحديث بعد الاستقلال ، لحظة الاحتلال الكامل لبلاده وسقوط عاصمته والتى كانت أول عاصمة عربية تسقط تحت أقدام الاحتلال فى العصر الحديث .

ولّد هذا التحدى ، استجابة لم يكن يصح ان تكون أدواتها هى ذات الأدوات التى هُزمت من قبل أمام هذا الاحتلال لم يكن بد من أدوات جديدة ، فكانت العقيدة والإيمان بالله والثقة فى نصره والترتيب الصحيح للأولويات واستعداد القادة للاستشهاد والتضحية ، تلك كانت أدوات (حزب الله) وركائز تجربته ، وانطلاقته ، والتى كان (السيد) وقتها فى القلب منها ، مقاتلاً فى إقليم التفاح ، ومجاهداً متجولاً على كافة جبهات القتال ، وقتها ارتفع الشهيد الشيخ راغب حرب شهيداً (فبراير / شباط ١٩٨٤) بعد أن وقف بصلابة ضد قوات الاحتلال فى الجنوب ، وقال قولته الشهيرة عندما أراد القائد الإسرائيلى الذى احتل قريته أن يتحدث معه أو يصافحه فرفض وسط جموع الشعب وقال " الكلمة موقف والمصافحة اعتراف " .

وتوالى الشهداء والاستشهاديون من أبناء هذه المقاومة النقية ، التى حاولت قدر المستطاع أن تنأى بنفسها عن فتن الحرب الأهلية وأمراضها ، فاكتسبت الاحترام والتقدير من الأعداء قبل الأصدقاء ، وبعد سلسلة من الخلافات داخل الصف الشيعى الذى انقسم إلى فريقين : فريق حركة أمل بقيادة نبيه برى وفريق حزب الله بزعامة السيد عباس الموسوى ، وبدأت الكفة العددية والجهادية تميل تدريجياً ناحية حزب الله الى أن كان العام ١٩٩٠ عام غزو صدام للكويت ، وكان الحزب ومقاومته وقتها محاصراً من الأهل ومن الأعداء معاً ، فكان فضل الله عليه عظيماً حين انقلبت المعادلات الإقليمية لصالحه ، وبدأت سوريه تنشغل بحرب الكويت ، وتدخلت إيران على الخط ، فأنقذ حزب الله من صراعات الأهل والأعداء وتدريجياً وبدأ يستعيد قوته

الضاربة ليصير الجنوب كله تحت سيطرة هذه المقاومة ، التى زادتها دماء الشهداء قوة وتصميماً ، وكان لاستشهاد الأمين العام للحزب وقتها السيد عباس الموسوى (فبراير / شباط ١٩٩٢) الدور الأكبر فى إشعال روح الجهاد وتوسيع دائرته ، كان اليهود ساعتها يتصورون – بحكم غبائهم الدنيوى المعتاد – أن قتل رأس المقاومة سوف يقضى عليها أو يضعفها ، إلا "إن حزباً يستشهد أمينه العام لا ينهزم" تماماً مثلما قال الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى مؤسس الجهاد الإسلامى فى فلسطين حين بلغه نبأ استشهاد السيد عباس الموسوى ، وفوجئ العدو ، بأن الذى تولى أمر الحزب والمقاومة بعده كان الأقوى والأبرز والأشد حمية وجهاداً ، لقد كان فتحاً من الله أراده لهذه البلاد ولهذا الحزب لقد جاءهم السيد حسن نصر الله ، شاباً وقتها لم يكمل الثلاثين من عمره، يمتلك خبرة الجهاد والقتال العملى من (١٩٨٢ – ١٩٩٢) وخبرة الفهم الدينى المستنير منذ تتلمذ على أيدى السيد موسى الصدر مؤسس حركة أمل الأولى النقية، ويمتلك وعياً متجاوزاً لفتن الطوائف وصراعاتها المميتة ، جاءهم " السيد " المعمم ، وقد اختزن حكمة السنين وثورتها منذ جده الإمام الحسين (رضى الله عنه) وحتى معلمه وأستاذه وصديقه (السيد عباس الموسوى) .

* إذن جاء السيد ..

* وبدأت مرحلة جديدة لا فى تاريخ حزب الله فحسب ، بل فى تاريخ لبنان والمنطقة برمتها؛ فالرجل القادم ، كان ، وكما يقولون ، على موعد مع القدر ، قدر التحولات الكبرى، والصدامات الكبرى فى المنطقة والعالم والتى كان محورها دائماً " الصراع مع إسرائيل " ، ووقعت فى عهده عدة معارك موسعة ، كان أبرزها حرب يوليو / تموز ، وحرب نيسان (أبريل ١٩٩٦) التى فيها اعترف العدو صراحة بهزيمته أمام حزب الله ، وفى العام ١٩٩٧ استشهد ابنه الشهيد هادى وهو يقوم بعملية عسكرية على الخطوط الأمامية مع العدو ، وفى عهده وقعت حادثة أنصارية (١٩٩٧) التى قتل فيها ١٥ ضابطاً وجندياً عسكرياً إسرائيلياً من صفوة الجيش الإسرائيلى ، وفى عهده

تراجعت قدرة إسرائيل وجيش انطوان لحد العميل (٢٠ ألف جندى) على صد هجمات رجال المقاومة (١٥ ألف مقاتل) ، وعجزت إسرائيل والولايات المتحدة عن إيقاف تنامى شعبية وكاريزمية حسن نصر الله ، وذلك الالتفاف الشعبى الواسع – داخل لبنان وخارجه – حوله ، الأمر الذى جعل من انتصار ٢٥ أيار / مايو ٢٠٠٠ قدراً لا فكاك منه ، وأن يصبح المانشيت الرئيسى لصحيفة هآرتس الإسرائيلية عشية الهروب الإسرائيلى الذى تم فى الليل هو الأصدق فى التعبير عن لحظة الانتصار ، انتصار حزب الله فى عهد حسن نصر الله .. حين قالت الصحيفة تعليقاً على الهروب (الانسحاب) " يوم الذل فى إسرائيل " ! .

****

واليوم ونحن على بعد مسافة زمنية تزيد على الست سنوات يوم الذل لإسرائيل ، يوم انتصار حزب الله، نسأل ، بكل موضوعية وهدوء لماذا انتصر نموذج حسن نصر الله، فى المقاومة ، فى حين هزم غيره ؟ .

الإجابة المباشرة والبسيطة : لأن حسن نصر الله امتلك ما يمكن أن نسميه بـ(فقه الانتصار) ذلك الفقه الذى تتوزع أركانه وضوابطه وشروطه فى الآتى :

أولاً : الثقة فى الله وفى حتمية نصره للذين ينصرونه ، هكذا كان السيد حسن نصر الله ورجال مقاومته وحزبه ، آمنوا بالله ووثقوا فى نصره ، منذ أن كانوا مجموعة صغيرة من الشباب المؤمن بضرورة مقاومة العدو الصهيونى وتحرير لبنان منه وكانوا وقتها يتهموا من قبل (الكبار) ؛ شيوخاً أو ساسة بأنهم فتية مجانين ، أو أنهم غير واقعيين (نفس الأقوال يقولها الآن أبو مازن ومبارك والملك عبد الله لقادة الجهاد والمقاومة فى فلسطين !!) فكان يرد عليهم السيد ورفاقه : " إنى أرى نصر الله كما أراكم " ، هذا الإيمان والثقة ترجما على الأرض واقعاً حيّ ، فكان الجهاد والاستمرار فيه بلا توقف ، رغم دعوات الانهزامية (الطريف أنه رغم النتائج الإيجابية التى تحققت فى الانتصار النقى لحزب الله لا يزال هناك من يرددها ، سواء على مستوى

الساسة فى لبنان من الذين تاجروا عن عمد بدماء الحريرى الذى استشهد يوم ٢٠٠٥/٢/١٤ ، أو الصحفيين من الكارهين بالفطرة للعروبة والإسلام) . لقد تجاوز إيمان (حسن نصر الله) بالله وثقته فى نصره كل هؤلاء المهزومين والانهزاميين فكان نصر الله له ، أليس هو القائل سبحانه وتعالى " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " [سورة محمد – آية ٧] .

ثانياً : القدوة وضرب المثل بالتضحية ، لقد كان حسن نصر الله قدوة لشباب حزبه ومقاومته ، فكان مقاتلاً وسط صفوفهم قبل أن يتولى أمر الأمانة العامة ، وحين تولى القيادة ، كان متقدماً للصفوف ، ومضحياً ، وكانت قمة تضحيته حين قدم ابنه الأكبر (هادى) شهيداً (١٩٩٧) فضرب المثل وزلزل الموروث من قيم أرباب السياسة فى لبنان الذين كانوا عادة يعدون أولادهم لتولى قيادة أحزابهم ، أو مؤسساتهم ، كانوا يعدونهم – ومثلهم أغلب القادة العرب – ليرثوهم فى الجاه والمنصب ، فإذ بـ (السيد) يقدم ابنه شهيداً فى مشهد قل مثيله ، كان بإمكان حسن نصر الله أن يضع (هادى) فى الأعمال الإدارية للمقاومة ، وساعتها لم يكن أحد ليلومه ، فابنه عملياً سيكون فى المقاومة ، ولكنه ترك له حرية اختيار المكان والزمان فى الجهاد فكان اختياره أن يكون فى الصفوف الأولى ، فى النخبة المجاهدة ، وأن يستشهد داخل الحدود مع فلسطين ، وأن يظل جثمانه أسيراً لدى العدو لأكثر من عام إلى أن يتم استبداله مع مئات الأسرى وجثامين الشهداء اللبنانيين مقابل رفات جندى إسرائيلى قُتل فى معركة أنصارية (١٩٩٧) . إنها القيادة المضحية والقادرة على العض على جراحها الذاتية وتجاوزها ثم الانتصار عليها ثم القصاص والانتصار لها وللبنان وللعروبة والإسلام لاحقاً .

ثالثاً : الترتيب الصحيح للأولويات ، فكان الاتجاه الصحيح للرصاص هو قلب العدو ، وليس إلى قلب أى لبنانى ، وكان الصراع – ولا يزال – مع المشروع الأمريكى – الصهيونى ، هذا الترتيب للأولويات هو الذى جمع اليسارى والإسلامى والقومى أحزاباً

وقوى حول " السيد " الرجل الوحيد الذى لا خلاف عليه أو معه ، اللهم إلا مع المرضى نفسياً من أمثال أولئك الساسة (التجار) أو الاعلاميين الانتهازيين الذين يتقلبون على كل الموائد ويضعون رأسهم وأقلامهم تحت أقدام من يدفع أكثر .

* لقد امتلك (السيد) هذه الثلاثية من القيم (التى شكلت ركائز فقه الانتصار كما عرفه وعاشه) فكان حتمياً انتصاره ، ونعتقد جازمين أنه سيظل منتصراً ما بقى هذا الفقه لديه ، رغم المحن والفتن ، والصراعات التى لا يمر يوم إلا ونشاهدها حية مطلة برأسها فى لبنان الذى وضعه الكبار اليوم فى إطار لعبة الأمم وصراعاتها خاصة بعد أن قتلوا الحريرى وفبركوا المؤامرات ضد سوريه ولبنان معاً فمن لضرب حزب الله وهو ما لن يكون بإذن الله .

****

إننا فى هذا الكتاب ، الذى نعقده للسيد حسن نصر الله وحزبه (حزب الله) نحاول أن نؤكد مجدداً أن أمة تمتلك مثل هذا " السيد " لا تنهزم ، أمة لديها مثل هذا الحزب ، وتلك النوعية من المجاهدين الذين يضعون أرواحهم على أكفهم لا تنهزم ، مهما نعق الناعقون من دعاة الهزيمة وفلاسفتها فى بلادنا المبتلاة بهم .

* إنه كتاب ليس فحسب عن السيد ، وحزبه ، ولكنه وبالأساس ، كتاب لنا ، لكل عربى ومسلم حر يبحث عن الأمل ، فى هذا الليل الأمريكى البهيم . هذا هو الأمر ، والنموذج لمن يريد الاقتداء . والله أعلم .

www.liilas.com/vb3
RAYAHEEN

الفصل الأول

السيد وحزبه

(عن الميلاد والنشأة)

- وُلد السيد حسن نصرالله في ٣١ آب/ أغسطس ١٩٦٠ وهو من بلدة البازورية في جنوب لبنان، والده السيد عبد الكريم نصر الله، والسيد حسن هو الأكبر سناً في الأسرة المكوّنة من ثلاثة أشقاء وخمس شقيقات.

وكانت الولادة والسكن في حي" الكرنتينا"، أحد أكثر الأحياء فقراً في الضاحية الشرقية لبيروت، وهناك تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة "الكفاح" الخاصة، وتابع دراسته المتوسطة في مدرسة" الثانوية التربوية" في منطقة سن الفيل.

- عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان (نيسان / أبريل ١٩٧٥) عادت عائلته إلى البازورية، حيث واصل تعليمه في المرحلة الثانوية، وعلى الرغم من صغر سنه تم تعيينه مسؤولاً تنظيمياً لبلدة البازورية في حركة " أمل " .

- أبدى منذ حداثته اهتماماً خاصاً بالدراسة الدينية متأثراً بالإمام السيد موسى الصدر.

- تعرّف خلال فترة وجوده في جنوب لبنان على إمام مدينة صور سماحة السيد محمد الغروي، الذي ساعده في ترتيب التحاقه بالحوزة العلمية في النجف الأشرف أواخر العام ١٩٧٦، فغادر إلى النجف الأشرف ومعه رسالة تعريف من السيد الغروي الى المرجع الديني الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) الذي أبدى اهتماماً لافتاً به، وكلّف سماحة السيد عباس الموسوي (رض) مهمة الإشراف على الطالب الجديد والعناية به على المستويين العلمي والشخصي.

- في عام ١٩٧٨، غادر العراق متخفياً متوارياً عن أنظار النظام العراقي، نظراً لحالة الجور والاضطهاد التي مورست ضد الحوزات الدينية (علماء وطلاب)، وفي لبنان التحق بحوزة الإمام المنتظر (عج)، وهي المدرسة الدينية التي أسسها الشهيد السيد

عباس الموسوي الذي كان ممنوعاً بدوره من العودة الى العراق، وهناك واصل دراسته العلمية .

والى جانب نشاطه العلمي في الحوزة الدينية في بعلبك، عاود السيد نصر الله نشاطه السياسي والتنظيمي في حركة أمل بمنطقة البقاع،حيث تم تعيينه سنة ١٩٧٩ مسؤولاً سياسياً لمنطقة البقاع وعضواً في المكتب السياسي للحركة .

- في عام ١٩٨٢، انسحب مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل إثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

- تولى مسؤوليات مختلفة في حزب الله منذ بداية تأسيسه عام ١٩٨٢ عقيب الاجتياح الصهيوني وانطلاق حركة المقاومة الإسلامية في لبنان.

- واصل نشاطه العلمي في المدرسة الدينية في بعلبك الى جانب توليه مسؤولية منطقة البقاع في حزب الله حتى العام ١٩٨٥، حيث انتقل الى منطقة بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة.

- في عام ١٩٨٧، تم استحداث منصب المسؤول التنفيذي العام لحزب الله، حيث جرى تعيينه في هذا المنصب الى جانب عضويته في شورى القرار (أعلى هيئة قيادية في حزب الله).

- في عام ١٩٨٩ غادر إلى مدينة قم المقدسة للالتحاق بالحوزة العلمية مجدداً وإكمال دراسته، ولكنه عاد بعد عام واحد ليكمل مسؤولياته بناءً لقرار الشورى وإلحاح المسؤولين والكوادر الأساسيين وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك.

- في عام ١٩٩٢، تم انتخابه بالإجماع من قبل أعضاء الشورى أميناً عاماً لحزب الله خلفاً للأمين العام السابق الشهيد السيد عباس الموسوي الذي اغتالته القوات الإسرائيلية في ١٦ شباط / فبراير ١٩٩٢ في بلدة تفاحتا خلال عودته من بلدة جبشيت في جنوب

لبنان حيث كان يشارك في احتفال بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد شيخ شهداء المقاومة الإسلامية الشيخ راغب حرب.

- خاضت المقاومة الإسلامية خلال تولّيه الأمانة العامة للحزب عدداً من الحروب والمواجهات البطولية مع جيش الاحتلال، كان أبرزها حرب "تصفية الحساب" في تموز/يوليو ١٩٩٣، وحرب "عناقيد الغضب" في نيسان / أبريل ١٩٩٦ التي توّجت بتفاهم نيسان / أبريل الذي كان أحد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل المقاومة الإسلامية أتاح لها تحقيق الإنجاز التاريخي الكبير المتمثل بتحرير القسم الأكبر من الاراضي اللبنانية في أيار/مايو من العام ٢٠٠٠ م.

- خلال توليه الأمانة العامة، خاض حزب الله غمار الحياة السياسية الداخلية في لبنان بشكل واسع، وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢، وهي أول انتخابات نيابية تجري بعد انتهاء الحرب الأهلية في لبنان، فحقّق فوزاً مهماً تمثل بإيصال ١٢ نائباً من أعضائه الى البرلمان اللبناني، مشكّلاً بذلك كتلة الوفاء للمقاومة.

- في ١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٧، استشهد نجله الأكبر محمد هادي في مواجهة بطولية مع قوات الاحتلال في منطقة الجبل الرفيع في جنوب لبنان.

- فى ٢٥ مايو / أيار عام ٢٠٠٠ تم على أيدى رجاله ، أبناء المقاومة الإسلامية فى لبنان ، تحرير الجنوب اللبنانى وإجبار العدو الصهيونى على الرحيل (باستثناء مزارع شبعا) .

- كان له مواقف سياسية وجهادية بارزة طيلة الفترة من عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠٦ أبرزها تحرير الأسرى اللبنانيين وعلى رأسهم (الشيخ عبد الكريم عبيد - الحاج مصطفى الديرانى) .

- أدى دوراً متميزاً فى الوفاق الوطنى اللبنانى إثر استشهاد رفيق الحريرى يوم ٢٠٠٥/٢/١٤ ، واستطاع بحكمته ووعيه السياسى أن يفرغ القرارات الدولية الأمريكية

التى صدرت ضد الحزب وسلاحه (وعلى رأسها القرار ١٥٥٩) من مضامينها ، ولايزال يقود مسيرة الوفاق والتحرير .

- السيد حسن نصر الله متزوج من فاطمة ياسين، وله منها خمسة أولاد : (الشهيد هادي)، محمد جواد، زينب، محمد علي، محمد مهدي.

قصة حياة نصر الله كما يرويها بنفسه

* فى يوم ١٩٩٧/١١/٢٨ أجرت مجلة " مجازين " الفرنسية مع الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله مقابلة ، نُشرت على صفحاتها الأولى جاء فيها نصاً : " هذه المرة الأولى التي يوافق فيها السيد حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله) على التحدث عن حياته، ويرضى ألا يكون ملتحماً كلياً بحزبه وأفكاره، ودوافعه ونضاله وسياسته في حديث موجه الى الجمهور.

(كاريزمي).. هذا الرجل لديه روح مجبولة بالفولاذ. يتكيف بسهولة مع تهديد دائم كان ليتلف أعصاب أي مواطن عادي، في كل لحظة،وهو يعرف هذا. (إسرائيل) يمكن أن تسعى إلى تصفيته هو وخاصته، (زوجته وأطفالهما) وإن اقتضى الأمر تصفيته عبر قصف مسكنه أو عبر إمطاره بالصواريخ في طريق مهجور، كما في حالة سلفه السيد عباس الموسوي..

بمعنويات عالية تعامل السيد حسن نصر الله مع استشهاد ابنه البكر هادي، الذي استُشهد في اشتباك مع الإسرائيليين كوالد سعيد لنيل ابنه نعمة الشهادة التي تفتح للمؤمن أبواب الجنة.

رأينا هذا جيداً على شاشة التلفزة، لقد أراد تلقّي التهاني لا التعازي، ولم يصدر عنه أي دلالة اعتيادية بالنسبة لمأتم.

وهذا موقف - وفقاً للمقربين منه - ليس فيه أي ادعاء. فإيمان الرجل قوي بحيث إنه حين علم بفقدان أثر هادي لم يتذمر، مستقبلاً النبأ كما لو كان شأناً عاماً..

هادي، الذي كان يقاتل منذ فترة في صفوف" المقاومة الإسلامية"، كان معرّضاً لذلك. والده يعتقد أنه شرف كبير، على المستوى الإنساني، أن يسقط في مواجهة العدو في ساحة الشرف. ولكنه على الأخص سعيد لكون هادي نال بركة الشهادة. ولكن ينبغي ألا نقع في لبس، إنه يفتقد الفتى "وإلاّ لما كنت أباً".. تنتابه آمال في رؤيته وحسرات الحنان الأبوي، لكنه يستغرق في إيمانه ليمنّي نفسه بأنهما سوف يلتقيان يوماً عند الكبير المتعال وبفضله..

إنه دائماً في مجال التهديد الإسرائيلي ، الذي يأخذه ، كهدف ، تماماً كما الاحتلال الذي يعانيه البلد والذي يقاتل ضده حزب الله، لذا فإنّ كل ما يتعلق بشخص الأمين العام يأخذ طابعاً استثنائياً داخل الحزب.

انبهار حقيقي بصورة الإمام موسى الصدر

الوالد عبد الكريم كان يبيع الفاكهة والخضار مع إخوته. ومع تحسّن وضعه قليلاً استطاع أن يفتح متجر بقالة صغيراً في الحي كان "حسن" يتردد إليه للمساعدة، وهناك كانت صورة للإمام موسى الصدر معلّقة على أحد الجدران. كان الصبي الصغير يجلس على كرسي قبالة الصورة ليتأملها، وكما يتذكر كان يحلّق في أحلام لا تنتهي. وكلما تأمل بالصورة ازداد إعجابه بالإمام وتعلّقه به، وكان يحلم بأن يصبح يوماً مثله..

لم يكن "حسن" يشبه أولاد الحي الآخرين. كان هؤلاء الصبية يلعبون كرة القدم، يذهبون الى البحر أو النهر للسباحة، أما هو فكان يتردد الى المسجد في سن الفيل، برج حمود أو النبعة، لعدم وجود مسجد في الكرنتينا.

دعوة ونداء ديني خفي لا شيء ينبئ به فهو لم يكن على احتكاك مع أي من العلماء، ولم تكن عائلته متدينة بشكل مميز، ولكن" حسن" اليافع كان متعلّقاً بالتدين، بحيث أنه لم يكن يكتفي بالمواظبة البسيطة على الشعائر، كالصلاة أو الصيام، بل كان يذهب أبعد من ذلك.

محيطه وجواره الممتزج بشدة مع الكرنتينا لم يتمكنا منه. لم يكن منطوياً على نفسه، ولكنه كان مأخوذاً كلياً بحياته الداخلية، مع خلفية منطبعة بصورة الإمام الصدر..

وفي التاسعة من عمره نزل "حسن" – كما يقال – الى البرج، ساحة الشهداء القديمة، مركز المدينة ليحصل على كتب لدى باعة الكتب المستعملة، الذين كانوا يفرشونها على الرصيف، ويحملونها معهم على عربات متجولة.

كان يقرأ كل ما كان يقع تحت يده من كتابات حول الإسلام. وعندما كان يجد صعوبة في فهم كتاب ما فإنه كان يضعه جانباً ليقرأه فيما بعد عندما يكبر..

أتم دراسته الإبتدائية في مدرسة حي" النجاح"، وكان في عداد آخر دفعة نالت الـ"سرتفيكا" (الشهادة التي أُلغيت سنة ١٩٧٠) درس في مدرسة سن الفيل الرسمية. ثم كان أن دفعت الحرب التي اندلعت سنة ١٩٧٥ العائلة الى ترك الكرنتينا والعودة الى القرية، فأكمل حسن نصر الله دراسته الثانوية في مدرسة صور الرسمية.

عندما كان لا يزال في الكرنتينا لم يكن هو ولا أي فرد من عائلته منتمياً الى أي حزب، بالرغم من وجود عدة منظمات – بعضها فلسطيني – في تلك المنطقة. ولكن مع عودته الى "البازورية" التحق بصفوف "حركة أمل"، وكان خياراً طبيعياً جداً له لأنه كان متعلّقاً عاطفياً بالإمام موسى الصدر. كان عمره آنذاك ١٥ سنة، و"أمل" كانت معروفة باسم "حركة المحرومين". ولكن خياره كان غريباً قليلاً في البازورية، القرية التي كان يسيطر عليها التقدميون، والماركسيون، وخاصة الحزب الشيوعي اللبناني.

على كل حال، فقد أصبح هو وأخوه حسين عضوين في قاعدة "أمل"، حيث أصبح بسرعة مندوب قريته، برغم صغر سنه.

في هذه الأثناء، وخلال بضعة أشهر، قرر أن يتوجه الى النجف الأشرف في العراق، المكان المقدس الشيعي، لينال دروساً في العلوم الإلهية القرآنية. لم يكن قد بلغ حينها السادسة عشرة، وكانت تنقصه الوسائل. التقى في مسجد صور بعالم هو السيد محمد الغروي، الذي كان يدرّس باسم الإمام موسى الصدر، فحدثه "حسن" عن رغبته في

www.liilas.com/vb3 IRAN AHEAD

الذهاب الى الحوزة في النجف، القرية والمدرسة الدينية الشيعية، حيث يختار الطلبة أساتذتهم، ويحيّون حياة جماعية. الغروي، الذي كانت تربطه علاقة صداقة مع السيد الكبير محمد باقر الصدر في العراق، أرسل مع "حسن" رسالة توصية الى هذا الأخير. فجمع الشاب بعض الأغراض، والقليل من المال، بمساعدة أصدقائه ووالده، وطار الى بغداد، ثم بالباص إلى النجف. وعند وصوله لم يكن قد بقي معه قرش واحد. ولكن يوجد هناك – كما يقول – يد معينة لدعمك. والأهم أنّ الطالب يستطيع أن يتحمل حياة الكفاف والفاقة . الغذاء كان الخبز والماء، والفراش كان من الإسفنج.

لدى وصوله التقى اللبنانيين وسألهم عن إمكانية إيصال كتاب التوصية الى الإمام محمد باقر الصدر، الذي كان من أقطاب الحوزة، فأجابوه بأنّ السيد عباس الموسوي قادر على ذلك. لأول وهلة ظن حسن نصر الله أنّ الموسوي، الذي كان شديد السمرة، عراقي فخاطبه بالعربية الفصحى، فوجده يجيبه:" لا تكلّف نفسك، أنا لبناني من (النبي شيث) في البقاع". وكانت هذه بداية علاقة وثيقة.

الموسوي كان لحسن نصر الله "صديقاً،وأخاً، وأستاذاً ورفيق درب"، وقد فقده بعد ١٦ سنة مع الاعتداء الإسرائيلي الذي أودى بحياة الأمين العام السابق لحزب الله. وبناءً على طلب السيد محمد باقر الصدر فالموسوي هو الذي توكّل بمهمة تربية وتعليم الوافد الجديد الى النجف. فعندما استقبله باقر الصدر بعد قراءة كتاب التوصية من السيد محمد الغروي سأله: "هل معك مال؟"، أجابه حسن:"ولا قرش واحد".فالتفت محمد باقر الصدر الى الموسوي وقال له:" أمّن له غرفة،كن مدرّسه وارعَه".وأعطى نصر الله نقوداً ليبتاع ثياباً وكتباً بجانب مصروف شهري.

أولى الموسوي المهمة الموكلة إليه عنايته.. فوجد له غرفة في الحوزة قرب مسكنه، فقد كان السيد عباس متزوجاً وكان يحق للمتزوجين السكنى فى بيت، بينما ينبغي للعزّاب الاكتفاء بغرفة قد "يقتسمونها" يتشارك فيها اثنان، أو حتى ثلاثة. كان لكل طالب الحق بمعونات متواضعة لا تتجاوز الخمسة دينارات شهرياً تُمنح لهم من قِبل

العلماء الكبار المعتمَدين كمراجع، مثل الإمام الخوئي أو الإمام محمد باقر الصدر. ولم تكن كفالة شاب كالموسوى لطالب كحسن المستغرب فى الحوزة ، التى تمتلك نظاماً مميزاً جداً .

وتنقسم الدراسة فيها الى ثلاثة مستويات، فيوجد في البدء ما يشبه التعليم الإعدادي أو المدخل العام للتعليم الديني والعلمي.

ثم المرحلة المتوسطة، المسماة "مرحلة السطوح"، وأخيراً المرحلة الأخيرة العليا المسماة "البحث الخارج" لأنها تتطلب البحث من غير رجوع الى كتب معتمدة ومحددة وإنما الى آراء الفقهاء الأساتذة. وكما في بعض الأكاديميات الغربية فإنّ الطالب الذي نال درجة يستطيع بدوره أن ينقل معارفه المكتسبة الى الأصغر منه. وبناءً عليه، فإنّ عباس الموسوي الذي كان قد أنهى المرحلة التحضيرية وبدأ بالمرحلة المتوسطة استطاع أن يستلم صفاً من المبتدئين، وفي عدادهم نصر الله.

الموسوي كان جاداً وصارماً. وبفضل تدريسه المتشدد إستطاع طلابه أن ينهوا خلال سنتين ما يعطى عادة خلال خمس سنوات في الحوزة. كانوا في الواقع يَمضون بسرعة، ويَحرمون أنفسهم إجازات شهر رمضان وموسم الحج، وحتى يومي العطلة الأسبوعية المعتمدة في المدرسة الدينية (الخميس والجمعة). كانوا يدرسون بلا توقف ولا انقطاع.

وفي سنة ١٩٧٨ أنهى حسن نصر الله بنجاح هذه المرحلة الأولى. كان يريد قبل كل شيء أن ألا يضيّع الأستاذ الذي أصبح صديقاً. ولكن في هذه السنة بدأ النظام العراقي التضييق على الطلبة الدينيين، وأبعد عن البلاد مجموعة منهم من مختلف الجنسيات. وفوق ذلك فإنّ بغداد بدت منزعجة من الطلبة اللبنانيين لأنهم لم يقدموا جميعاً من الأجواء الدينية التقليدية المعروفة، ذلك أنّ أبناء المشايخ هم الذين كانوا يَفِدُون الى المدارس القرآنية ولكن أواسط السبعينات شهدت وصول شباب مثقفين غير منحدرين من عوائل متدينة. وبما أنّ الحرب كانت قد تأججت في لبنان فإنّ الشباب اللبنانيين

أُخذوا كـ"كبش محرقة"، فكانوا يُتهمون تارة بالانتماء الى "حركة أمل" وتارة الى "حزب الدعوة" أو الى "البعث السوري"، وكان الأمر يبلغ حد اتهامهم بكونهم دُسّوا هناك من قبل المخابرات السوريه.

لذا فإنّ الطلبة اللبنانيين (الذين احتُجز بعضهم في السجن لأشهر عديدة) أُبعدوا سنة ١٩٧٨ من العراق، مثل أجانب آخرين، من قبل السلطات.

ملاحَقاً من رجال صدام، رجع الى لبنان

في أحد الأيام، اقتحم رجال صدام الحوزة فعلياً، عندها كان السيد عباس الموسوي في لبنان، ولم يجد الجنود سوى عائلته، فأعلمه طلابه بأنه يجدر به عدم محاولة العودة الى العراق لأنه مطلوب هناك. وخلال فترة قليلة أُبعد الشباب أيضاً. وعندها ابتسم الحظ لحسن نصر الله، فقد كان هجوم الشرطة وهو خارج حرم الحوزة، وعند عودته علم أنّ رفاقه اعتقلوا فغادر مباشرة منطقة النجف، ولم يكن أمر اعتقاله قد صدر بعد في المناطق الأخرى، ولم يكن اسمه قد أُعطي على الحدود، فاستطاع أن يرجع الى لبنان بهدوء، ولكنه قبل كل شيء كان يريد أن يكمل دراسته الدينية.

وقد تحقق له ما أراد عندما فتح الموسوي مع مجموعة من المدرسين مدرسة دينية في بعلبك، وهي ما زالت حتى الآن. كان نصر الله يدرس فيها ويدرّس في نفس الوقت. ثم عاود نضاله في صفوف أمل التي انتخبته مندوبها السياسي في البقاع سنة ١٩٨٢. وبهذا العنوان أصبح عضواً في المكتب السياسي المركزي وفي السنة نفسها أنهى دراسة المرحلة الثانية، أي المتوسطة.

عام ١٩٨٢ كان الإجتياح الإسرائيلي الكبير، وأصبحت هذه السنة منعطفاً أساسيّاً في حياة حسن نصر الله، كما لزملائه وباحتلال الإسرائيليين بيروت، تشكّلت "جبهة الإنقاذ الوطني" التي رغب رئيس " أمل " نبيه بري أن يشارك فيها. ولكن الأصوليين المتدينين في الحركة عارضوا هذا الأمر، وتفاقم النزاع، وانشقت مجموعة المتدينين. وكان أمراً غير مفاجيء نظراً الى أنه في السابق كان يوجد العديد من الخلافات التي

جعلتها تأخذ موقفاً مقابلاً للأستاذ بري بسبب الاختلاف في تفسير الإرشاد الذي خلّفه الإمام موسى الصدر.

لكن هذه الأحداث لم تبدُ في ذلك الوقت خطيرة بشكل كافٍ لتنفيذ انشقاق، ولكن عندما رأى الشباب المؤمنون أنّ رئيس الحركة يريد الانضمام الى "جبهة الإنقاذ الوطني" برئاسة الياس سركيس، وليس فقط الى جانب وليد جنبلاط ورشيد كرامي وإنما أيضاً مع بشير الجميل، اعتبروا أن هذا انحراف خطير. في الواقع رأوا أنّ "الجبهة" كانت تهدف خاصة الى إيصال بشير الجميل الى رئاسة الجمهورية، الأمر الذي كانوا يرفضونه كلياً، فبنظرهم رمز رئيس "القوات اللبنانية" الى التطبيع مع العدو الإسرائيلي، ولم يكن الصلح معه وارداً، ولا مد اليد إليه.

فتركوا عندها "أمل" ليؤسسوا مع عناصر أخرى من خارج الحركة "حزب الله". وهناك بدأ الحركيون القدامى بإجراء اتصالاتهم مع كوادر الجمعيات الخيرية أو الثقافية الناشطة عموماً في لجان الأحياء وتجمعات المساجد. وقد قدم بعضهم من "حزب الدعوة الإسلامية"، هذا التنظيم السري كان قد حلّ نفسه قبل تشكيل الحزب، الذي انضمت إليه أيضاً المقامات الدينية المستقلة. وكان شعاره مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

الأمر اللافت أن حسن نصر الله عندما ترك "أمل" لم يتبعه أخوه الشاب "حسين"، الذي ما زال حتى اليوم منتمياً الى الحركة، وقد شغل في وقت من الأوقات مسؤولية الحركة في قطاع "الشياح"، ولكن يبدو أنّ مشكلات صحية قد أدت به الى ترك هذه المسؤولية.

حسن نصر الله هو الابن البكر لعائلة من تسعة أولاد من الصبيان والبنات، يليه حسين، ثم زينب (وهي متزوجة)، ثم فاطمة التي تقيم في البيت مع أهلها، ثم محمد الذي يمارس مهنة أخرى، ثم جعفر الموظف رسمياً، ثم وفق ترتيب الأعمار: زكية، وأمينة وسعاد، والثلاث متزوجات..

في البدء، لم يكن أهل البيت متدينين جداً، كما أشرنا، "ولكن مع الوقت تحسن الوضع" كما يقول السيد نصر الله .

جميع البنات يجاهدن في أنشطة لحزب الله. وبالنسبة للصبيان ففي البدء كانوا جميعاً في "أمل" ولكن لم يبقَ الآن سوى حسين. محمد لا يمارس السياسة ولكنه يحترم الحزب دون أن يكون عضواً فيه. أما جعفر فيبيّن حسن نصر الله أنه لا يعرف توجهاته الحالية، لأنه لم يتناقش معه في الفترة الأخيرة.

لم يكن الإمام موسى الصدر بالنسبة للشباب الذين آمنوا به مؤسساً لـ"أمل" فقط، ولكن أيضاً وبشكل أو بآخر "حزب الله"، إنه مرشد الجميع، الجميع يعتبرون أنفسهم أولاده. لكن بعد اختفائه ظهر تباين في طريقة تطبيق تعاليمه.

حزب الله، اليوم، هو على طريق التطور، كون إرادته هي السير مع العصر، وخاصة على المستوى الشيعي.

ودائماً بحسب نصر الله: فلا ينبغي التفكير أنّ شخصاً واحداً، مهما كان جليلاً، هو قادر على احتكار الفكر والمعرفة الدينية والعلم السياسي.

أعضاء حزب الله يعتقدون أنّ أعظم شخصية في هذا القرن، وبلا منازع هي "الإمام الخميني". ومع وفاته بدأوا في البحث عن مرجعية روحية حية. وبشكل طبيعي توجّه ولاؤهم الى المرشد المنتخب كخليفة للخميني، الإمام الخامنئي. وبالنسبة إليهم فإنّ "أفكار ووجهات نظر العلماء الماضين ما زالت تحمل قيمة كبيرة".

عندما رأى "حزب الله" النور لم يكن حسن نصر الله، البالغ حينها ٢٢ عاماً، عضواً في القيادة المسماة "مجلس الشورى". وقد ترقّى الدرجات داخل الحزب، وقد أنشأ هو بنفسه وظائف شتى. كان مشاركاً في مجموعة تعبئة المقاومين، ثم تولى مسؤولية الحزب في قطاع بعلبك، ومن ثم منطقة البقاع.

وفي خلال بعض الوقت توجّه الى بيروت مع السيد إبراهيم أمين السيد، والذي نُصّب مسؤولاً لمنطقة بيروت، ونصر الله نائباً له. وبعد قليل، قرر الحزب فصل الوظائف السياسية عن التشكيلات المنظمة على الأرض، فاختار السيد الطريق السياسي، فخلفه

www.liilas.com/vb3 ARAB AHEEN

نصر الله في مسؤولية منطقة بيروت، ثم استُحدث بعد ذلك منصب المسؤول التنفيذي العام المكلّف بتطبيق قرارات "مجلس الشورى"، فشغله نصر الله.

أغلى أمنية لديه هي أن يرجع طالباً

على الرغم من التزامه الحزبي الذي يأخذ منه الكثير من الوقت، فإنّ حسن نصر الله ما يزال مصمماً على متابعة دراسته الدينية ليصبح فقيهاً مجتهداً. وهي درجة عالية، حيث ينبغي للعالم الاعتماد على قدراته الخاصة في المعرفة والتفكير من أجل تحليل النصوص واستنباط الأحكام من غير ضرورة الرجوع الى مراجع آخرين. هؤلاء العلماء يشكّلون النخبة، والتي تعتبر كياناً روحياً في الحوزة.

بعد الاجتياح الإسرائيلي اضطر نصر الله الى إيقاف دراسته كلياً لكي يكرّس نفسه، جسداً وروحاً، للحزب والمقاومة. ولكن بعد سبع سنوات في ١٩٨٩ رأى أنّ باستطاعته معاودة الدروس. ومع الضوء الأخضر من الحزب توجّه الى قم، المدينة الإيرانية المقدسة، لمتابعة دراسته التي بدأها في النجف. وقد سرت الكثير من الشائعات بخصوص هذا الرحيل، إذ قيل إنّ نصر الله على خلاف مع كوادر آخرين في حزب الله.

ومع استمرار الخلاف مع "حركة أمل" وتحوله الى مواجهة عسكرية في إقليم التفاح، اعتبر نصر الله أنّ من واجبه العودة، كما أنّ الحزب من جانبه قد طلب ذلك أيضاً.

وهكذا، ولمرة جديدة خسر الفرصة المتاحة أمامه لإكمال تحصيله الديني. واليوم أيضاً ما زال يؤكد أنه لا يوجد أمنية أغلى عنده من رؤية إخوة داخل الحزب يريدون فعلاً إراحته من عبء "الأمانة العامة" ليعود طالباً..

لقد أُسندت إليه مهمة قيادة الحزب ومنصب الأمين العام بعد اغتيال عباس الموسوي من قبل الإسرائيليين.

سابقاً، ولدى إقامته في قم، فإنّ المسؤولية التنفيذية الموكلة إليه من المجلس الأعلى اضطلع بها مساعده الشيخ نعيم قاسم. وعند عودته بقي نصر الله عضواً في القيادة ولكن دون مسؤولية محددة. ثم عندما انتُخب مرشده في النجف السيد عباس الموسوي أميناً عاماً، اتخذ قاسم نائباً له، واستعاد نصر الله مهامه الفعلية.

وسنة ١٩٩٢ وجّهت "إسرائيل" ضربة قاسية الى الحزب باغتيالها الموسوي، فبكاه نصر الله، تلميذه وصديقه، كما بكاه مجلس الشورى المجتمع لانتخاب خلف له. ووقع الاختيار على حسن نصر الله، بالرغم من أنه لم يكن نائباً للأمين العام، وبالرغم من صغر سنّه، مقارنة مع أعضاء القيادة الآخرين. ولكن سادت اعتبارات عاطفية، فقد كان ينبغي، بشكل من الأشكال، التعبير عن إجلال من القلب للموسوي، الذي كان نصر الله أقرب شخص إليه، فقد كان يقال في الحزب: "عباس وحسن هما وجهان لعملة واحدة، إنهما الشيء نفسه".

كما أنّ حسن نصر الله، المسؤول التنفيذي، كان لديه علاقات واسعة مع القاعدة، وقد كان في مقدوره تثبيت وحدة الحزب بقوة بعد الضربة القاسية التي تلقاها لتوه.

كما أنّ نصر الله كان أفضل مرشح لاستثمار شهادة صديقه عاطفياً على المستوى الشعبي لصالح القضية والحزب.

يقول إنه في يوم انتخابه في مجلس الشورى شعر بارتباك شديد لأنه كان أصغرهم، وأيضاً لأنه حتى ذلك الوقت كانت مهمته تحمل طابعاً تنظيمياً داخلياً، من غير تداخل مهم مع العلاقات الخارجية. "ولكنهم أصروا". وبعد رفض أولي من قبله تم التأكيد على اختياره من قِبل "العقلاء" عبر تصويت آخر.

"سيد" هو لقب مستخدَم عموماً في أفريقيا الشمالية للدلالة على المُنحدَر من سلالة النبي عبر أبيه أو أمه، أو الانتماء الى بني هاشم. هذا العنوان يفرّق بين هؤلاء المنتمين إلى هذه السلالة و"المشايخ"" الشيوخ الدينيين". السادة (وهي جمع "سيد") يعتمون عمامة سوداء كعلامة مميزة، وهذا الزي لا يحمل أي دلالة على الرتبة الدينية.

السيد حسن نصر الله هو رب أسرة منذ سنة ١٩٧٨ متزوج من فاطمة ياسين (٣٥ سنة) المتحدّرة من "العباسية" (قضاء صور). بعد استشهاد هادي البكر الذي قُتل في اشتباك في أيلول / سبتمبر عن عمر ١٨ سنة، بقي لديهم: محمد الجواد (١٧ سنة)، زينب (١٢ سنة) ومحمد علي (٧ سنوات) والذي احتفل بعيد ميلاده في ٢٢ تشرين

الثاني/ نوفمبر، ساعتها : طلب "الكاتو" وأحضروه له. "لقد دللته المدرسة" قال الأب مبتسماً قبل أن يضيف: "لا بأس، من الجيد أن يتمكن الطفل من الاحتفال بعيد ميلاده".

بعد "مذكرات شارون" سيقرأ كتاب" نتنياهو"

عندما يعود السيد حسن نصر الله الى بيته فإنه يترك أعباءه عند "العتبة"، ليصبح فقط زوجاً وأباً مهتماً، ولكن أيضاً رجلاً يعيش حياته الخاصة وإيمانه.

يقرأ كثيراً، وخاصة مذكرات الشخصيات السياسية. منذ بعض الوقت يقرأ "مذكرات شارون"، وينوي أن يعاود قريباً قراءة كتاب نتنياهو "مكان تحت الشمس"، وهذا دليل على أنه يجد من الهام التعرف جيداً على العدو.

وبالنسبة إليه، فإنّ الحزب ليس مقاومة فقط، إنه اليوم حامل لفكر سياسي عام مبني بشكل طبيعي على الإسلام: "بالنسبة إلينا، باختصار، الإسلام ليس ديناً بسيطاً من الطقوس والأذكار ولكنه فعلاً رسالة إلهية خاصة بالبشرية ويجيب على أي سؤال يمكن أن يطرحه الإنسان في حياته الخاصة أو العامة. الإسلام هو دين لمجتمع قادر على الثورة وتشييد دولة". غير أنّ السيد حسن نصر الله يضيف – ليكون صادقاً ومنطقياً مع نفسه – أنه لا يستطيع أن ينفي أنّ حزب الله يطمح على المستوى الإيديولوجي والنظري الى إقامة "جمهورية إسلامية" يوماً ما. لأنّ" أعضاء حزب الله" يعتقدون أنّ الدولة الإسلامية تشكّل الحل للمجتمع، وإن كان مجتمعاً تعددياً متضمناً لأقليات. لكنه يوضح فوراً أنه ليس من المطروح فرض جمهورية إسلامية بالقوة والإكراه، مضيفاً أنّ إعطاء الحكم هو للشعب وليس على أساس الأغلبية المطلقة لـ ٥١ في المئة وإنما على أساس شبه الإجماع كـ ٩٠ في المئة من الأصوات. وبناءً عليه، فإنّ إنشاء الجمهورية ليس مطروحاً في هذا الوقت.

بالنسبة لحسن نصر الله، ووفقاً للمعتقد الإسلامي، يوجد الدنيا والآخرة. الموت ليس إلاّ البوابة التي تفصل بين العالمين. البعض يجتازها بمعاناة، والبعض الآخر بيسر وسهولة. الشهادة هي الشكل الأرقى للعبور الى العالم الآخر، لأنه عطاء آخر.

عندما "يموت" شهيد فكما لو أنه يدخل الى السماء حاملاً معه أغلى العطايا، وهذا هو سبب استقباله بشكل مختلف عن الآخرين. وعلى كل حال، يلحظ السيد حسن نصر الله أن حتى الشعوب التي لا تؤمن بالله فإنها تكنّ احتراماً عظيماً للذين يقدّمون حياتهم لأجل شعبهم أو القضية التي يخدمونها.

ويوضح أنه اليوم وككل أب يفتقد ابنه البكر "هادي"، وأنه يستمد شجاعته من قناعته المطلقة بأنّ الشاب هو في نعيم أصفياء القدير المطلق.

ويلفت الأب الى أنه قبل شهادة هادي كانت صورته في بيتهم فقط إلاّ أنها اليوم في كل بيت "يوجد الكثير". وحسن نصر الله الذي يبدو سعيداً بالطريقة التي انتهت فيها حياة بكره يختم هذه النقطة موضحاً أنه فقد كائناً عزيزاً ولكنه يعلم أنهما سيلتقيان يوماً.

ويقول بالنسبة "للكاريزمية" التي يصفونه بها: إنه وبطبيعة الحال ليس في موقع إبداء الرأي، وإنّ الحكم هو للآخرين. ويوضح أنّ " الكاريزمية" بصورة عامة، أو التأثير الذي يمكن أن يكون لأحد على الآخرين، هو موهبة إلهية، ويمكن تنميتها عبر التثقّف واكتساب الخبرة. ولكن الثقافة والمهارة لا يمكن لها دائماً أن تجعل الشخص "كاريزمياً" ما لم يمتلك الموهبة، ويبدو أنّ هذا السحر الطبيعي لا ينقص السيد حسن نصر الله؛ كما أنه يمتلك، بكل تأكيد، قدرات ذهنية عالية.

قد يعود يوماً الى مقاعد المدرسة القرآنية ليصبح فقيهاً، عالماً بالأحكام. ولكن لهذه اللحظة حسن نصر الله قابع في السياسة أكثر منه في الدين، فضلاً عن نضال التحرير، وهو يحاول إعطاء الدينامية للحزب. قد يقول البعض: "إعطاءه الديمقراطية" أو تحديثه. ولكن هذه المعاني لا تحمل في هذه الحالة دلالتها العادية في الإيحاء الغربي لأنّ حزب الله يبقى إسلامياً، هذه طبيعته، ويبقى مقاوماً، هذا واجبه.

<u>ميلاد حزب الله</u>

* لا يكتمل التعريف بـ (السيد) دونما الإلمام الكامل بحزبه ، نشأة ومساراً.

<u>حزب الله .. المرحلة الأولى (الولادة)</u>

عندما تحصنت المجموعة التى قاتلت الجيش الإسرائيلى على مشارف الضاحية الجنوبية فى "خلدة" واتخذوا لأنفسهم من خلدة وكلية العلوم مجالاً للتعبير بالإضافة إلى المجموعة التى كانت نشأت فى المساجد والحسينيات التقوا جميعاً فى معسكرات التدريب التى كان يشرف عليها الحرس الثورى فى البقاع وغيرها كان الجميع يرغب فى عمل يتصدى به للعدو .

بدأت تظهر عمليات بسيطة كزرع عبوات ناسفة ، أو إلقاء قنابل يدوية على دوريات إسرائيلية دون أن يكون هناك إطار تنظيمى أو قيادة موحدة ، واستمر هذا الأداء غالباً فى المرحلة التأسيسية الأولى ، مجموعات متفرقة ترتبط برباط عقائدى وتجتمع على هدف مشترك .

كانت هذه المجموعات مختلفة كلياً عن كل الحالات الأخرى ، حيث إن الأحزاب التى شاركت فى المقاومة لم تتشكل فى الأصل لمقاومة الاحتلال ، وإنما هى أحزاب سياسية لبنانية اتخذت ميليشيات مسلحة خلال الحرب الأهلية فرضت عليها ظروف الاجتياح المواجهة مع إسرائيل ثم انكفأت سياسياً وتوقفت مقاومته بعد ذلك.

لكن المقاومة الإسلامية بدأت كمقاومة لا كتنظيم سياسى له جناح عسكرى أو ميليشيا مسلحة ، وإنما كانت قوة مقاتلة تشكل لها تنظيم سياسى ، وبذلك فهى لم تقم بعمل عسكرى تحاول توظيفه سياسياً أو تبرزه إعلامياً ، وتوالت الضربات المتلاحقة للجيش الإسرائيلى فى بيروت والجبل والجنوب مما دفع الجيش المحتل إلى تنفيذ سلسلة من العمليات المتكررة ليداهم الأحياء بحثاً عن سلاح أو عناصر منتمية الى أحزاب اليسار أو المنظمات الفلسطينية ، لعدم إدراكهم فى حينها أن العناصر الإسلامية قد أصبح لها هذه القدرة العالية على تنفيذ مثل هذه العمليات.

عقدت إسرائيل العزم على ان تدفع لبنان لتوقيع عقد إذعان لها (سلام) ، وساعدها على ذلك عدم ممانعة الرئيس أمين الجميل الذى نشط فى محاولة ضمان عدم معارضة عربية له .

www.liilas.com/vb3
RAYAH FEN

كان الغضب الشعبى اللبنانى يتصاعد حتى دوى انفجار عنيف هز مدينة صور ، ودمر مقر الحاكم العسكرى الإسرائيلى، وأسفر الانفجار عن مصرع عشرات القتلى والجرحى من الضباط والجنود ووصفه رئيس الأركان الإسرائيلى رفائيل إيتان بأنه "ناجم عن ضعف بالبناء" وكلف مجلس الوزراء الإسرائيلى لجنة تحقيق خاصة ووصفته فى حينه بأنه عمل انتحارى (استشهادى) .

كان منفذ العملية شاب من بلدة دير قانون النهر اسمه أحمد قصير عن طريق سيارة مفخخة ماركة (بيجو) تم تفخيخها بكميات كبيرة من المتفجرات وقذائف غير منفجرة من مخلفات الاجتياح ، ولم تعلن المقاومة مسئوليتها عن العملية ، هذه العملية احتاجت الى المتابعة والرصد ، وجهاز متفرغ يتابع كل التفاصيل وهذا إن دل على شيء ، فإنه يدل على وجود تنظيم له قدرة كبيرة على إحداث مثل تلك العمليات ، ولكن كان الرأى وقتها عدم الكشف عن العملية حتى لا يتم اكتشاف التنظيم قبل اكتمال بنائه ولذلك كان الإسرائيليون يحاولون القبض على عناصر اليسار اللبنانى أو أعضاء المنظمات الفلسطينية .

أعلنت بعض الأحزاب مسئوليتها عن بعض العمليات التى كانت تقوم بها المقاومة لمحاولة كسب مساحة سياسية من جراء هذا الادعاء .

واستفاد الحزب من سرية عملياته فى المرحلة الأولى الا انه دفع ثمن ذلك تهميشاً له فى الحياة السياسية اللبنانية وفى معادلة موازين القوى الداخلية وبقى يدفع هذا الثمن سنوات طويلة قبل ان تتمكن المقاومة الإسلامية من استعادة ذلك .

بموازاة النشاط العسكرى فى مناطق الاحتلال ، كانت التحركات ناشطة لإيجاد إطار سياسى يجمع تلك المجموعات ، بعدما أنجز علماء دين وشخصيات مدنية صيغة تجمع بين الاتجاهات المتعددة سواء الذين انشقوا من حركة أمل ، أو حزب الدعوة ، ولجان المساجد ، وتجمعات علمائية ، وأفراد مستقلون عينت كل مجموعة من يمثلها فى الاجتماع التحضيرى الأول فالتقى تسعة مندوبين يمثلون فى هذه الاتجاهات أطلق

عليهم اسم (لجنة التسعة) ووضعت وثيقة تشمل مبادئ أساسية قاعدتها الالتزام بولاية الفقيه ، وقتال إسرائيل .

شكلت هذه اللجنة (لجنة خماسية) وسميت باسم (شورى لبنان) تشكل منها وفد برئاسة السيد عباس الموسوى لمقابلة الامام الخمينى واستمع الامام للوفد وشرحوا له ما توصلوا اليه وخاطبهم بقوله (المهم هو العمل) وأصبح الامام الخمينى قائداً ووليا اجتمعت كلمة تلك القوى على مبايعته والالتزام بطاعته .

أخذت البيانات تصدر باسم (حزب الله وعلماء البقاع) كعنوان واحد ، وفى بيروت كان الاسم المتداول (تجمع علماء المسلمين) ولم يستقر الرأى حينها على تسمية وظلت البيانات تصدر بالاسمين معاً فقد كان هناك رأى ذهب الى اتخاذ اسم علمائى، وآخر ذهب الى تسمية سياسية ظل هذا النقاش مستمراً حتى أيار (مايو) ١٩٨٤ حين تم اعتماد الاسم (حزب الله) .

واتصاف المقاومة التى قادها حزب الله بالإسلامية لا يلغى مضمونها الوطنى باعتبار ان الدين الإسلامى يحمل بعداً وطنياً ، ولكون الدين أوسع اطاراً من حدود الوطن ولا يحجب غير المسلمين عن المشاركة فى المقاومة بأسمائهم وهوياتهم السياسية لتتجمع الهويات كلها والخصوصيات تحت عنوان واحد هو : المقاومة .

بمرور الوقت تقلص الفارق بين المعنيين الوطنى والدينى وصار أكثر التصاقاً بالناس بعد تفكيك الميليشيات وأدوات الحرب الداخلية وانتفاء التنافس بين الفصائل والميليشيات .

كان للخطاب الإسلامى (حزب الله) تأثيره فى إمكانية التلاقى والقفز فوق الحواجز النفسية والحساسيات المناطقية والطائفية ، وبذلك تحقق الهدف وتشكل مجتمع الحرب والنهوض فى مواجهة الاحتلال وأصبحت الساحة الداخلية أكثر حصانة امام أى اختراق صهيونى .

كانت الشورى قد حصلت على تأييد الولى الفقيه (الإمام الخمينى) وبدأت فى رسم وإعادة تنظيم المجموعات وتحديد الروابط بينها وتأسيس البنية الداخلية من خلال : خلايا صغيرة فى القرى (قطاعات) مناطق وكانوا كلهم مرتبطين بالعنوان الكلى (المقاومة الإسلامية – حزب الله) وبدأ تنظيم الوضع الداخلى من أجهزة مدنية وعسكرية ، وكانت كل المؤسسات فى خدمة المقاومة بالإضافة الى المهام اليومية والتنظيمية .

لم تكن النشأة الأولى للحزب شيئاً هيناً نظراً لما كانت تمر به لبنان من ظرف استثنائى معقد ، فقد قامت القوات اللبنانية بعد عدة عمليات وحملات اعتقال لمنع مثل هذه التفجيرات والعمليات العسكرية ضد إسرائيل ، وحاولوا هدم مسجد الرسول الأعظم فتفجرت موجة من الغضب والمظاهرات استطاعت أن تقتحم سراى بعلبك وإذاعة بيان يندد بالاحتلال وحدث أول صدام عسكرى مع الجيش فى لبنان قرب بريتال ، وخوطب الجيش بالتزام ثكناته لأنه لا يقاوم إسرائيل .

واستطاعت المجموعات التابعة للمقاومة الإسلامية السيطرة على الوضع الأمنى فى بعلبك بعد عرض عسكرى منظم احتفالاً بيوم القدس ١٩٨٣ ، ودخلت المسيرة الثكنة العسكرية للشيخ عبد الله فى بعلبك وخطب السيد حسن نصر الله " ان السلطة تريد أن تحول جنودنا فى مؤسسة الجيش الى خدم للأمريكيين ونحن أتينا بلا رصاص ولا سلاح لأننا لا نريد ان نقتل اخواننا " ثم أقيمت الصلاة بمشاركة قائد الثكنة ثم أخلاها الجنود وسلموها الى المقاومة الإسلامية – حزب الله .

اتبع الحزب أساليب المواجهات الشعبية (المسيرات – المظاهرات) ، والعمل العسكرى المنظم والعمليات الاستشهادية ، أدى كل هذا الى تبديد الأسطورة الصهيونية عبر العمليات التى كانت تضرب البنية العسكرية والأمنية المخابراتية للعدو .

كما اعتمد حزب الله على الروح المعنوية المستمدة من الإلهام الروحى والتدريبات العسكرية القاسية ، والتعبئة الفكرية التى وضعت نصب أعينها إزالة إسرائيل من

الوجود فكان كل المتوجهين الى العمليات العسكرية فى حالة استعداد للموت دون خوف وكان العلماء يشجعون هذه الفكرة لا من خلال دفع الشباب ولكن بالتقدم أمامهم .

كان استشهاد الشيخ راغب حرب (شيخ شهداء الجنوب) نوراً أضاء الطريق ورمزاً للمقاومة وأصبح ذكرى استشهاده يوماً يحيه الحزب فى كل عام وقد كان الشيخ من بين الأسماء البارزة التى كان لها دور فى النشأة ، والناطق باسم اللجان الإسلامية المساندة للثورة الإسلامية ، وكان ضمن الوفد الذى سافر الى طهران لحضور مؤتمر المستضعفين وقت الاجتياح ، وعاد الى لبنان ليقوم بحملة من الاعتصامات والتظاهرات ويشارك فى العمل العسكرى مما دفع جنود الاحتلال الى اعتقاله وأمام الاحتجاجات والثورات والمسيرات اضطر الاحتلال للإفراج عنه وقد حول الشيخ قرية " جبشيت " الى أحد معاقل المقاومة حتى استشهاده .

لم تكن المرحلة الأولى لولادة الحزب تسمح له بالانخراط فى الجو السياسى نظراً لما كانت تغلب عليه صور غاية فى السوء حيث التحالفات المصلحية والصراعات.

وفى ربيع ١٩٨٤ عقد مؤتمر " بكفيا " بين زعماء القتال حينما تقلص نفوذ السلطة على مناطق الجنوب عامة والإسلامية خاصة ، وتدخلت دمشق عبر نائب الرئيس السورى عبد الحليم خدام وكانت وجهة نظر الحزب ان كل هذا مضيعة للوقت ، ووقف موقفاً معارضاً من هذه الدعوة والتى كانت تفرض أن يبقى الحكم فى يد الكتائب التى أعلن الحزب رفضه لها ، وطالب بمحاكمة قادتها وقرر من البداية معاداتهم والعمل على تغييرهم ولكنه لم يترجم هذا الموقف ميدانياً .

وفى حزيران (يونيه) ١٩٨٤ أعلن عن البدء فى تنفيذ الخطة الأمنية لبيروت الكبرى لوقف التقاتل وإلغاء خطوط التماس وأن يتولى الجيش حماية العاصمة أمنياً، ورغم عدم مشاركة الحزب فى اللجنة فإنه فصل بين معارضته للخطة سياسياً وبين الموقف الإجرائى الميدانى وأعلن عن تخليه عن مواقع التماس وتسليمها للجيش حتى لا ينفجر الوضع وتزداد حالة التراشق والتقاذف وأعلن ان القتال الداخلى ملهاة عن أمور كبيرة

تخص الوطن وتحريره . لكن سجل الحزب ملاحظته الأساسية على الخطة ، بأنها لا تقوم على أساس استنفار الطاقات لمقاتلة إسرائيل ، خاصة أنها حددت نطاقها البقعة الممتدة من مثلث خلدة حتى جسر الموت، وظل الحزب يؤكد على ضرورة محاكمة رموز النظام فأعلن فى تموز (يوليو) من العام نفسه أنه معنى بهذه المحاسبة وستبقى العين ساهرة للدفاع عن المسلمين ومحاسبة كل الذين تسببوا فى قتل الأبرياء ، بعدما تناسى الحكم والحكومة المطالبات الشعبية العارمة ، بمحاكمة المسؤولين عن قتل الشعب وتدمير مصالحه.

أكد الحزب ذلك ووضعه من جملة أهدافه (أن يرضخ الكتائبيون للحكم العادل ، ويحاكموا جميعاً على الجرائم التى ارتكبوها بحق المسلمين والمسيحيين بتشجيع من أمريكا وإسرائيل) . وفى أيار (مايو) ١٩٨٤ اعتمد اسم (حزب الله – الثورة الإسلامية فى لبنان) وأنشئ فى الوقت نفسه المكتب السياسى وأقر إصدار المطبوعة الأسبوعية " العهد " ومع تصاعد الأقوال والادعاءات ان حزب الله ما هو الا حالة قتالية خاض الحزب معارك سياسية واعلامية بعد ان قوى بنيانه التنظيمى والسياسى فأعلن عن برنامجه السياسى وهويته فى وثيقة أذاعها على الملأ من جبشيت فى ذكرى استشهاد (شيخ شهداء الجنوب الشهيد راغب حرب) الأولى من حسينية الشياح فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٨٥ كان البرنامج السياسى يحمل عنوان (الرسالة المفتوحة) ليتعرف الناس على حزب الله وعلى هويته السياسية وانتمائه والتزامه بالتعاليم الإلهية الإسلامية المتجاوزة لكل الشكليات القبلية أو المناطقية ، وكيفية تعاطيه مع العدو الصهيونى والأمريكى وحدد الدولة الصهيونية بأنها (شر مطلق) وأن أمريكا (أول جذور المنكر) وأسقط الحزب من حساباته السياسية (المرحلية – المستقبلية) أى امكانية أو أى صيغة تعاون مع من يعتبرهم (عملاء لإسرائيل) .

فى خريف عام ١٩٨٥ كان هنا تحضير لمصالحة تهدف الى صيغة تنهى حالة الحرب وتضع قواعد جديدة للحكم فى لبنان يتقاسم فيها المسلمون والمسيحيون السلطة ونالت

هذه المصالحة موافقة أطراف عربية واسلامية وبدأ الاجتماع الذى ضم (حركة أمل – الحزب التقدمى الاشتراكى – القوات اللبنانية) تحت الرعاية السوريه وعرف حينها (بالاتفاق الثلاثى) ولم يخف الحزب معارضته للاتفاق ومضامينه وأعلن صراحة معارضته السياسية مع رفضه فى الوقت نفسه استخدام أساليب العنف وتفجير الصراع لإثبات المعارضة ، وبتحالف أمين الجميل مع فريق من القوات اللبنانية سقط الاتفاق،وسقط أيضاً عبء المعارضة عن كاهل حزب الله.

كانت المعارضة الدائمة من جانب حزب الله لأى إصلاح مرحلى فى النظام جعل القوى السياسية الداخلية تبدى تخوفها من حقيقة المشروع غير المعلن لحزب الله وهل هناك تحضير ما لفرض فكرة دولة إسلامية بالقوة ؟ جاءت إجابة الحزب بأن نظرته لشكل الحكم تنطلق من الإرادة الشعبية مع إبداء رغبته بأن تختار هذه الإرادة النظام الإسلامى ، وان له رؤية فى طبيعة الصراع باعتباره صراعاً بين مظلومين مستضعفين وقوى استعمارية غربية ، جعلت من لبنان بوابة للشرق أوسطية ومفتاح هذه البوابة هذه الحكومة ، وحدد الحزب دوره الذى يقتضى اغلاق تلك البوابة ومحاولة تغيير الوضع الى دولة "عادلة تقوم على أساس تكافؤ الفرص أمام اللبنانيين لحكم البلاد بعيداً عن الانتماءات الطائفية " فالرؤية هنا إلغاء الطائفية السياسية لفتح البلاد أمام كل التغييرات الكبيرة على مستوى السلطة والدولة ، وبدأ الحزب يتعاطى مع الواقع اللبنانى بما هو متاح من محددات التغيير السياسى وفق قواعد التغيير السلمى وممارسة ضغوطات سياسية على مراكز صنع واتخاذ القرار فى لبنان.

على رأس القضايا العديدة أمام حزب الله كانت قضية الوحدة الإسلامية والتى تعنى وحدة المسلمين من سنة وشيعة فى وحدة واحدة وإسقاط الخلاف الميدانى وإبقاءه فى اطار النقاش والحوار العلمى والفقهى.

اعتبر حزب الله أن هناك أربع حالات تحكم العلاقة الإسلامية – الإسلامية وهى :

- بقاء الحواجز النفسية والمذهبية وهذا باب تنفذ منه الخلافات والصراعات ويشكل ثغرة للذين يريدون بقاء الضعف الاسلامي .

- الصراع والتذابح وهذا ما تعمل له القوى المستكبرة من خلال سعيها للهيمنة على العالم الاسلامي وسلب ثرواته ، وهذه العلاقة لن تؤدى إلا إلى إضعاف المسلمين وبعثرة قواهم .

- الوحدة : وهى أن يتحد المسلمون من خلال معركتهم الواحدة على أساس وحدة العبادة والارتباط بالخط الاسلامى ومواجهة اعدائهم المستكبرين .

وهذه هى الحالة الأقرب التى حاول الحزب تطبيقها ، والالتزام بها كقاعدة وحدوية، وقد دفع الحزب ثمناً باهظاً مرحلياً عندما انشغل هو وغيره بالتنازع الداخلى لكن سرعان ما عاد ليتبنى القواسم المشتركة التى تفرض تعزيز قوى المسلمين واللبنانيين الوطنيين فى مواجهة التحديات وكان خطابه السياسى يشتمل على كل معانى الوحدة ويدعو لها ويترجمها ميدانياً ، وبعد إصدار وثيقة الحزب "الرسالة المفتوحة" دخل تطوره مرحلة جديدة هى مرحلة الصمود والمقاومة .

****

البرنامج التأسيسى لحزب الله
قراءة فى وثيقة " الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين "

تمثل هذه الرسالة الوثيقة الأولى الرئيسية لحزب الله وعندما يريد أحد أن يبحث اليوم عن الأفكار الأولى التأسيسية للحزب ، فلابد له أن يعود إلى هذه الوثيقة حيث بداخلها تبرز الرؤى الأصلية الفلسطينية والحركية للحزب ، ولمؤسسيه الكبار الذين يأتى حسن نصر الله فى مقدمتهم ، فى البداية تبدأ الوثيقة بسؤال : من نحن وما هى هويتنا ؟

ثم جاء فيها " إننا أبناء أمة حزب الله فى لبنان ، نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره شخصيات ومؤسسات ، أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية ،

ولا نستثنى أحداً ، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع ، فيفهموا مقالتنا ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا .

إننا أبناء أمة حزب الله ، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الاسلام فى العالم ، التى تواجه أعتى هجمة استكبارية ، من الغرب والشرق على السواء ، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالى الذى أنعم الله به عليها ، لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله " ثم تنتقل الرسالة الى المطالبة للتصدى لقوى الاستكبار التى تهدف الى استلاب خيراتها وثرواتها ، واستثمار طاقاتها وكفاءات أبنائها ، والسيطرة على شئوونها كافة ثم تقول الرسالة : " نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة ، تتمثل بالولى الفقيه الجامع للشرايط ، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدد ، آية الله العظمى روح الله الموسوى الخمينى دام ظله ، مفجر ثورة المسلمين ، وباعث نهضتهم المجيدة .

وعلى هذا الأساس ، فنحن فى لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً ، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً .. بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين ، فى أنحاء العالم كافة ، برباط عقائدى وسياسى متين هو الإسلام .

ومن هنا ، فإن ما يصيب المسلمين فى أفغانستان أو العراق أو الفلبين أو غيرها ، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التى نحن جزء لا يتجزأ منها ، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعى أساساً ، وفى ضوء تصور سياسى عام تقرره ولاية الفقيه القائد .

أما ثقافتنا ، فمنابعها الأساسية ، القرآن الكريم ، والسنة المعصومة ، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا ! وأما قدرتنا العسكرية فلا يتخيلن أحد حجمها ، إذ ليس لدينا جهاز عسكرى منفصل عن بقية أطراف جسمنا ، بل ان كل واحد منا يتولى مهمته فى المعركة " .

العالم المستكبر متفق على حربنا

" أيها المستضعفون الأحرار :

إن دول العالم المستكبر الظالم ، فى الغرب والشرق ، قد اجتمعت على محاربتنا ، وراح حكامها يحرضون عملاءهم ضدنا ، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا .. فى محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين الطيبين ، وفى سعى حثيث لتقزيم ومسخ الانجازات المهمة والكبرى ، على مستوى مواجهتنا لأمريكا وحلفائها .. لقد حاولت أمريكا ، عبر عملائها المحليين ، أن توحى للناس بأن من قضى على غطرستها فى لبنان ، وأخرجها ذليلة خائبة ، وسحق مؤامرتها على المستضعفين فى هذه البلاد ، هم ليسوا إلا حفنة من المتعصبين الإرهابيين ، الذين لا شأن لهم إلا تفجير محلات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك ، ولكن كنا على يقين بأن مثل هذه الايحاءات لن تخدع أمتنا لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أمريكا والاستكبار العالمى ، لا يلجأ الى مثل هذه الأعمال الهامشية ، التى تشغله بالذيل عن الرأس " .

أمريكا وراء كل مصائبنا

" إننا متوجهون لمحاربة المنكر من جذوره .. وأول جذور المنكر أمريكا .. ولن تنفع كل المحاولات لجرنا الى ممارسات هامشية، اذا ما قيست بالمواجهة مع أمريكا.. فالإمام الخمينى القائد أكد ، ولمرات عديدة ، أن أمريكا هى سبب كل مصائبنا ، وهى أم الخبائث .. ونحن إذ نحاربها ، فلا نمارس الا حقنا المشروع فى الدفاع عن اسلامنا وعزة أمتنا .

إننا نعلن ، بصراحة ووضوح ، أننا أمة لا تخاف الا الله ، ولا ترتضى الظلم والعدوان والمهانة ، وأن أمريكا وحلفاءها ، من دول حلف شمال الأطلسى ، والكيان الصهيونى الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدسة ، كل هؤلاء ، قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار .. ولذا فإننا فى حالة تأهب مستمر ومتصاعد ، من أجل رد العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة .

لقد هاجموا بلادنا ، ودمروا قرانا ، وذبحوا أطفالنا ، وهتكوا حرماتنا ، وسلّطوا على رقابنا جلادين مجرمين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق أمتنا ، ولايزالون يدعمون هؤلاء الجزارين حلفاء إسرائيل ، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا ، وكنا نستصرخ ضمير العالم آنذاك فلم نسمع له حساً ولم نجد له أثراً ، هذا الضمير الذى افتقدناه أيام المحنة ، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً ، يوم حوصر الكتائبيون المجرمون، فى مدينة زحلة البقاعية ، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل ، فى دير القمر الشوفية .. فهالنا الأمر ، وأيقنا أن هذا الضمير العالمى ، لا يهتز الا بناء لطلب الأقوياء .. واستجابة لمصالح الاستكبار .

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدة آلاف ، من آبائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا ، فى صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة ، فلم يصدر عن أية منظمة أو هيئة دولية أى استنكار أو شجب عملى لهذه المجزرة البشعة ، التى ارتكبت بتنسيق مع القوات الأطلسية التى غادرت قبل أيام بل ساعات ، المخيمات التى قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب ، استجابة لمناورة الثعلب الامريكى فيليب حبيب " .

<u>تنسيق صهيونى كتائبى</u>

- " مئة ألف ضحية هو العدد التقريبى لجرائم أمريكا وإسرائيل والكتائب فينا.

- تهجير لنصف مليون مسلم تقريباً ، وتدمير شبه كامل لأحيائهم ، فى النبعة وبرج حمود والدكوانة وتل الزعتر وسبينه وحى الغوارنة ، وبنت جبيل التى لايزال من تبقى من أهلنا فيها يتعرضون للمحنة ، دون أن تتحرك هيئة عالمية واحدة لإنقاذهم .

- واحتلال صهيونى استمر فى اغتصابه لأراضى المسلمين ، حتى وصل الى احتلال لأكثر من ثلث مساحة لبنان ، بتنسيق مسبق واتفاق كامل مع الكتائبيين ، الذين استنكروا محاولات التصدى للقوات الغازية ، وشاركوا فى تنفيذ بعض خطط إسرائيل ليكملوا ويعطوها ما تريد ثمناً لإيصالهم الى رئاسة الحكم .

وهكذا كان ، فلقد وصل الجزار بشير الجميل الى سدة الرئاسة ، مستعيناً بإسرائيل، وبالنفطيين العرب ، وبالزعماء المستزلمين للكتائب من نواب المسلمين ، وإثر محاولة

www.liilas.com/vb3 RAYATHEENA

متقنة لتجميل صورته البشعة ، فى اطار غرفة عمليات سميت " بلجنة الإنقاذ " لم تكن الا جسراً أمريكياً – إسرائيلياً عبر عليه الكتائبيون ، باتجاه التسلط على رقاب المستضعفين .

لكن شعبنا لم يستطع الصبر على هذه المهانة ، فبدد أحلام الصهاينة وحلفائهم ، الا أن أمريكا أصرت على حماقتها ، فأوصلت أمين الجميل لخلافة أخيه المقبور ، وكان أول إنجاز له : تدمير منازل المهجرين ، والاعتداء على مساجد المسلمين ، وإعطاء الأوامر للجيش بقصف أحياء الضاحية المستضعفة على أهلها ، واستدعاء قوات حلف الأطلسى ، للاستعانة بهم علينا ، وتوقيع اتفاقية ١٧ أيار المشئوم ،الذى يجعل من لبنان محمية إسرائيلية ومستعمرة أمريكية.

أعداؤنا الأساسيون

" ولم يستطع شعبنا ان يتحمل كل هذه الخيانة فقرر مواجهة أئمة الكفر : أمريكا وفرنسا وإسرائيل ، ونفذ بحقهم أول عقوبة لهم : فى ١٨ نيسان ، ثم فى ٢٩ تشرين أول ١٩٨٣ ، وكان قد بدأ حرباً حقيقية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى ، ارتقى خلالها الى مستوى تدمير مركزين أساسيين لحكامه العسكريين، وصعّد من مقاومته الإسلامية، شعبياً وعسكرياً ، حتى أرغم العدو على اتخاذ قرار بالفرار المرحلى ، وهو قرار تضطر اليه إسرائيل لأول مرة فى تاريخ ما سمى بالصراع العربى – الإسرائيلى " .

أهدافنا فى لبنان

– " تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان ، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود ، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال .

– تخرج أمريكا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان وينتهى أى نفوذ لأية دولة استعمارية فى البلاد .

– يرضخ الكتائبيون للحكم العادل ، ويحاكمون جميعاً على الجرائم التى ارتكبوها، بحق المسلمين والمسيحيين ، بتشجيع من أمريكا وإسرائيل .

- يتاح لجميع أبناء شعبنا أن يقرروا مصيرهم ، ويختاروا بكامل حريتهم ، شكل نظام الحكم الذى يريدونه ، علماً بأننا لا نخفى التزامنا بحكم الإسلام ، وندعو الجميع الى اختيار النظام الاسلامى الذى يكفل وحده العدل والكرامة للجميع ، ويمنع وحده أية محاولة للتسلل الاستعمارى الى بلادنا من جديد " ٠

أيها الأصدقاء

" اذاً ٠٠ هذه هى أهدافنا فى لبنان ، وهؤلاء هم أعداؤنا ، أما أصدقاؤنا فهم كل الشعوب المستضعفة فى العالم ، وهم كل من يحارب أعداءنا ، ويحرص على عدم الاساءة الينا ٠٠ أفراداً كانوا أو أحزاباً أو منظمات ٠٠

أيها المحاربون والمنظمون ، أينما كنتم فى لبنان ، وأياً كانت أفكاركم ٠٠ اننا متفقون وإياكم على أهداف كبيرة ومهمة ٠٠ تتمثل فى ضرورة إسقاط الهيمنة الأمريكية على البلاد ، وطرد الاحتلال الصهيونى الجاثم على رقاب العباد ٠٠ وضرب كل محاولات التسلط الكتائبى على شئون الحكم والادارة ٠٠ وإن كنا نختلف فى أساليب المواجهة ومستوى المواجهة ٠٠

فتعالوا نترفع عن التخاصم فيما بيننا على الأمور الصغيرة ، ونفتح أبواب التنافس واسعة أمام تحقيق الأهداف الكبيرة ٠

فليس مهماً أن يسيطر حزب الله على شارع ،وإنما المهم أن تتفاعل الجماهير مع هذا الحزب٠ وليس المهم أن تكثر الاستعراضات العسكرية على المواطنين ٠٠ بل المهم ان تكثر العمليات ضد إسرائيل ، وليس المهم ان نصوغ البيانات وندعو الى مؤتمرات بل المهم ان نجعل من لبنان مقبرة للمشاريع الأمريكية " .

نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة

" أيها المستضعفون الأحرار : إننا أمة التزمت برسالة الاسلام ، وأحبت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية ، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة فى العالم ٠٠ والله تعالى ربنا يقول : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . [البقرة ٢٥٥ ، ٢٥٦] .

اننا مقتنعون بالإسلام ، عقيدة ونظاماً ، فكراً وعلماً ، وندعو الجميع الى التعرف عليه، والاحتكام الى شريعته ، كما ندعوهم الى تبنيه والالتزام بتعاليمه ، على المستوى الفردى والسياسى والاجتماعى .

ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الاسلامى ، على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس ، لا على قاعدة الفرض بالقوة ، كما يخيل للبعض .. ونعلن أننا نطمح ان يكون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الخارطة السياسية المعادية لأمريكا والاستكبار العالمى وللصهيونية العالمية والتى يحكمها الاسلام وقيادته العادلة .. وهذا الطموح هو طموح أمة ، وليس طموح حزب واختيار شعب لا اختيار عصابة " .

الحد الأدنى لطموحنا فى لبنان

إنقاذ لبنان من التبعية ، للغرب أو للشرق ، وطرد الاحتلال الصهيونى من أراضيه نهائياً واعتماد نظام يقرره الشعب ، بمحض اختياره وحريته .

لماذا نواجه النظام القائم ؟

١ – لكونه صنيعة الاستكبار العالمى، وجزءاً من الخارطة السياسية المعادية للاسلام.

٢ – لكونه تركيبة ظالمة فى أساسها،لا ينفع معها أى اصلاح أو ترقيع،بل لابد من تغييرها من جذورها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). [٤٥ المائدة]

موقفنا من المعارضة

" فنعتبر أن كل معارضة تتحرك ضمن خطوط حمر فرضتها القوى المستكبرة ، هى معارضة شكلية لابد أن تلتقى ، فى نهاية المطاف ، مع النظام القائم.

وكل معارضة تتحرك ضمن دائرة الحفاظ والحرص على الدستور المعمول به حالياً ، وتلتزم عدم اجراء أى تغيير أساسى فى جذور النظام ، هى معارضة شكلية أيضاً ، لا

تحقق مصلحة الجماهير المستضعفة ، وكذلك فإن أى معارضة تتحرك فى المواقع التى يريدها النظام أن تتحرك من خلالها ، هى معارضة وهمية ، ليست الا لخدمة النظام .

ومن ناحية اخرى ، فإن كل طرح للإصلاح السياسى ، على ضوء النظام الطائفى العفن ، لا يعنينا منه شىء ، تماماً كما لا يعنينا تشكيل أية حكومة ، أو اشتراك أية شخصية فى أية وزارة تمثل جزءاً من النظام الظالم " .

كلمات برسم المسيحيين فى لبنان

" أيها المستضعفون الشرفاء : إننا نتوجه من خلالكم بكلمات قليلة برسم المسيحيين فى لبنان ، وبرسم الموارنة على وجه الخصوص :

ان السياسة التى ينتهجها زعماء المارونية السياسية ، من خلال "الجبهة اللبنانية " و"القوات اللبنانية " لا يمكن ان تحقق السلام والاستقرار للمسيحيين فى لبنان ، لأنها سياسة قائمة على العصبية والامتيازات الطائفية والتحالف مع الاستعمار وإسرائيل.

ولقد أثبتت المحنة اللبنانية ، أن الامتيازات الطائفية كانت سبباً رئيسياً ، من أسباب الانفجار الكبير الذى قوض البلاد ، وأن التحالف مع أمريكا وفرنسا وإسرائيل لم يُجد نفعاً للمسيحيين يوم احتاجوا لدعم هؤلاء ..

ثم إن الأوان قد آن ، ليخرج المسيحيون المتعصبون من نفق الولاء الطائفى ، ومن أوهام الاستئثار بالامتيازات ، على حساب الآخرين ، وأن يستجيبوا لدعوة السماء ، فيتحكموا الى العقل بدل السلاح،والى القناعة بدل الطائفة .

اننا على يقين بأن رسول الله المسيح (عليه السلام) براء من المجازر التى ارتكبها الكتائبيون ، باسمه وباسمكم .. وبراء من السياسة الحمقاء التى يعتمدها زعماؤكم ، للتحكم بنا وبكم .

كما أن رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) هو براء أيضاً ممن يحسب على المسلمين،ممن لا يلتزمون بشرع الله،ولا يسعون الى تطبيق أحكامه،علينا وعليكم.

فإذا ما راجعتم حساباتكم ، وعرفتم أن مصلحتكم هى ما تقررونه أنتم ، بمحض اختياركم ، لا ما يفرض عليكم بالحديد والنار ، حينئذ نجدد دعوتنا لكم ، استجابة لقول الله تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

وإن كان أحد قد ضللكم ، وعظّم لكم الأمور ، وخوّفكم ان تنالكم منا ردود فعل ، على ما ارتكبه الكتائبيون من جرائم بحقنا ، فذا ما لا مبرر لكم فيه أبداً،إذ إن المسلمين منكم لازالوا يعيشون بيننا،دون أن يعكر صفوهم أحد ..

وان كنا نقاتل الكتائبيين ، فلأنهم يشكلون حاجزاً أمام رؤيتكم للحقيقة ، ويصدونكم عن سبيل الله ، ويبغونها فى الأرض عوجاً بغير حق ، وقد استكبروا وعتوا عتواً كبيراً .

أيها المسيحيون ..

حرروا أفكاركم من رواسب الطائفية البغيضة ، وجردّوا عقولكم من أسر التعصب والانغلاق ، افتحوا بصائركم على ما ندعوكم اليه من الاسلام ، ففيه نجاتكم وسعادتكم وخير الدنيا والآخرة ، أما المنتسبون للإسلام طائفياً ، فندعوهم للالتزام بالاسلام عملياً، والترفع عن العصبيات التى يمقتها الدين " .

قصتنا مع الاستكبار العالمى

" أيها المستضعفون الشرفاء ..

وأما قصتنا مع الاستكبار العالمى ، فنوجزها لكم بهذه الكلمات : إننا نعتقد أن صراع المبادئ ، بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ، قد ولى ، منذ زمن بعيد ، والى غير رجعة، فلقد أخفق الطرفان ، فى تحقيق السعادة للبشرية ، لأن الفكرة التى قدماها للناس ، وان اختلفت من حيث الشكل الى : رأسمالية وشيوعية ، فإنها التقت فى المضمون المادى ، وقصرت عن علاج مشاكل الانسانية .

www.liilas.com/vb3
ARAYAHEEN

فلا الرأسمالية الغربية ، ولا الاشتراكية الشرقية ، نجحتا فى إرساء قواعد المجتمع العادل والمطمئن ، ولا استطاعتا ان تحققا التوازن بين الفرد والمجتمع ، ولا بين الفطرة البشرية والمصلحة العامة .

وعلى هذا الأساس ، فالبلدان المستضعفة باتت هى محك الصراع ، والشعوب المستضعفة أصبحت وقوده .

أما فى لبنان ومنطقة فلسطين : فإننا معنيون بمواجهة أمريكا ، بشكل رئيسى ، لأنها صاحبة النفوذ الأقوى بين دول الاستكبار العالمى ، وكذلك إسرئيل ربيبة الصهيونية العالمية ، ومن ثم فإننا معنيون بمواجهة حلفاء أمريكا ، من دول حلف شمال الأطلسى، التى تورطت فى مساعدة أمريكا ضد شعوب المنطقة، ونحذر الدول التى لم تتورط بعد، من الانجرار الى خدمة المصالح الأمريكية، على حساب حرية أمتنا ومصالحها".

<u>إسرائيل يجب ان تزول من الوجود</u>

" أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأمريكية فى عالمنا الإسلامى .. وهى عدو غاصب تجب محاربته ، حتى يعود الحق المغصوب الى أهله .. وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا ، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسعية ، بدأ تطبيقها فى فلسطين المحتلة ، ويحاول التمدد والتوسع ، ليبنى دولة إسرائيل الكبرى ، من الفرات الى النيل ، وصراعنا مع إسرائيل الغاصبة ينطلق من فهم عقائدى وتاريخى ، مؤداه ان هذا الكيان الصهيونى عدوانى ، فى نشأته وتكوينه ، وقائم على أرض مغصوبة وعلى حساب حقوق شعب مسلم .

ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان يجب ان تنتهى بإزالته من الوجود ، ومن هنا ، فإننا لا نعترف بأى اتفاق لوقف اطلاق النار ضده ، أو أية اتفاقية هدنة معه ، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة ، وندين بشدة كل مشاريع الوساطة بيننا وبين إسرائيل ، ونعتبر الوسطاء طرفاً معادياً ، لأن وساطتهم لن تخدم إلا الإقرار بشرعية الاحتلال الصهيونى لفلسطين .

وعلى هذا الأساس ، نرفض معاهدة كامب ديفيد ، ونرفض مشروع فهد ، ومشروع فاس، ومشروع ريجان ، ومشروع بريجينيف ، والمشروع الفرنسى – المصرى ، وكل مشروع يتضمن اعترافاً ، ولو ضمنياً ، بالكيان الصهيونى ٠

ونسجل ، فى هذا السياق ، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التى تلهث وراء الحلول الاستسلامية مع العدو ، وتقبل " بمقايضة الأرض بالسلام " ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطينى المسلم ، ولقضية فلسطين المقدسة.

ومن جهة اخرى فإن الدعوة اليهودية التى أطلقت أخيراً ، للاستيطان فى جنوب لبنان ، وكذلك هجرة اليهود الأثيوبيين وغيرهم الى داخل فلسطين المحتلة ننظر اليها على أنها جزء من المشروع الإسرائيلى التوسعى فى العالم الاسلامى ٠٠ ومؤشر فعلى على الخطر الناجم من الاعتراف بهذا الكيان ، أو التعايش معه ٠

فالمقاومة الإسلامية المشرفة ، التى سطرت ولاتزال ، أروع الملاحم والبطولات ضد قوات الغزو الصهيونى ، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التى لا تقهر ، واستطاعت ان توقع الكيان الغاصب فى مأزق حقيقى ، من جراء الاستنزاف اليوم له ، عسكرياً وبشرياً واقتصادياً ، مما اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة التى يلقونها ، على أيدى المسلمين وإذ نصر على تأكيد اسلاميتها ، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها ، الذى يبدو واضحاً أنه اسلامى ، فى الدافع والهدف والمسلك وعمق المواجهة ، وهذا لا يلغى وطنيتها أبداً ، بل يؤكدها ٠٠ على العكس مما لو طمست اسلاميتها ، فإن وطنيتها تصبح هشة الى حد كبير" ٠

نداء من أجل مشاركة إسلامية واسعة

" إننا ننتهز الفرصة لنوجه نداء حاراً ، إلى جميع أبناء المسلمين فى العالم ، ندعوهم من خلاله إلى مشاركة إخوانهم فى لبنان ، بشرف القتال ضد الصهاينة المحتلين ، إما مباشرة ، أو من خلال دعم المجاهدين ومساعدتهم ٠٠ ذلك ان مقاتلة إسرائيل هى مسئولية كل المسلمين ، فى الأقطار والمناطق كافة ، وليست مسئولية أبناء جبل عامل والبقاع الغربى وحدهم ٠

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية ، بدماء شهدائها وجهاد أبطالها ، أن ترغم العدو ، ولأول مرة فى تاريخ الصراع ضده، على اتخاذ قرار بالتراجع والانسحاب من لبنان.. دون أى تأثير أمريكى أو غيره ، بل على العكس تماماً .. فإن قرار الانسحاب الإسرائيلى أظهر قلقاً أمريكياً حقيقياً ، وشكل نقطة انعطاف تاريخية فى مجرى الصراع ضد الصهاينة الغاصبين. وأثبت المجاهدون .. من خلال مقاومتهم الإسلامية التى شاركت فيها النساء ، حيث سلاحهن الحجارة والزيت المغلى ، والأطفال ، حيث سلاحهم الصراخ والقبضات العارية .. والشيوخ،حيث سلاحهم الجسد الضعيف والعصا الغليظة ، والشباب حيث سلاحهم البندقية والارادة الصلبة المؤمنة .. هؤلاء جميعاً أثبتوا ان الأمة اذا ما تركت تدبر أمرها بحريتها قادرة على أن تصنع المعجزات وتغير المتوهم من الأقدار" .

أنظمة الانهزام العربى

"وأما الأنظمة العربية المستسلمة ، فهى أنظمة عاجزة وقاصرة عن مواكبة تطلعاتها ، ولا تستطيع ان تفكر بمواجهة الكيان الصهيونى الغاصب لفلسطين لأنها نشأت فى ظل وصاية استعمارية ، كان لها الدور الأكبر فى تكوين هذه الأنظمة المهترئة.

إن بعض الحكام العرب، لا يتورعون عن أن يقدموا كل التسهيلات لأمريكا وبريطانيا، ولا يخجلون من الاعتماد على خبراء أجانب يعينونهم فى مناصب رسمية عليا ، وينفذون ما تقرره لهم دوائر البيت الأبيض من سياسة تهريب الثروات وتوزيعها على المستعمرين بأساليب شتى.

ويدعى بعضهم أنه حامى العرب والمسلمين ، ليغطى خيانته ، وليبرر استسلامه لإرادة أمريكا ، وفى الوقت نفسه ، يعتبر عبور كتاب إسلامى ثورى واحد الى بلاده أمراً محرماً وممنوعاً .

ونتيجة لسياسة الانهزام التى تتبعها هذه الأنظمة تجاه إسرائيل ، فقد استطاعت هذه الأخيرة ان تقنع الكثيرين منها ، بأنها أصبحت أمراً واقعاً ، لا مجال لعدم الاعتراف بها،فضلاً عن الإقرار بضرورة الالتزام بتوفير أمنها .

وسياسة الانهزام هذه ، هى التى شجعت السادات المقبور أن يرتكب خيانته الكبرى ، فيبادر الى مصالحة إسرائيل، وتوقيع معاهدة الذل معها . وسياسة الانهزام أمام أمريكا، هى التى توجه موقف هؤلاء الحكام ، من الحرب العدوانية المفروضة على جمهورية الاسلام فى إيران .. وتقف وراء الدعم غير المحدود لصدام العميل ، على مستوى التمويل والتموين الاقتصادى والعسكرى ، ظناً منهم أن النظام التكريتى المتصهين يمكنه أن يقضى على الثورة الإسلامية ، ويمنع من انتشار وهجها الثورى ومفاهيمها .

وسياسة الانهزام هذه ، هى التى تدفع الأنظمة الرجعية الى تجهيل الناس ، وتمييعهم وتذويب شخصيتهم الإسلامية ، وقمع أى تحرك إسلامى مناهض لأمريكا وحلفائها فى بلادهم ، كما أنها هى التى تدفعها الى الخوف من يقظة المستضعفين ، ومنعهم من التدخل فى شئون السياسة ، لما فى ذلك من خطر كبير على بقاء تلك الأنظمة ناتج عن وعى الشعوب على فساد حكوماتها وارتباطاتها المشبوهة ، وعن تعاطف هذه الشعوب مع حركات التحرر ، فى كل أنحاء العالم الاسلامى والعالم ..

إننا نجد فى معظم الأنظمة العربية ما يشكل حاجزاً ، أمام تنامى وعى الشعوب الإسلامية ووحدتها ، ونعتبرها مسئولة عن عرقلة المحاولات التى تستهدف إبقاء الجرح مفتوحاً ، والصراع مستمراً مع العدو الصهيونى .

وأملنا كبير بالشعوب المسلمة التى بدأت تبدى تذمرها بوضوح ، فى معظم البلاد الإسلامية واستطاعت أن تتسلل الى عالم الثورات ، لتستفيد من تجاربها ، وخصوصاً من الثورة الإسلامية الظافرة .. وسيأتى اليوم الذى تتساقط فيه هذه الأنظمة الهشة ، أمام قبضات المستضعفين ، كما تساقط عرش الطاغوت فى إيران، ولابد ونحن نخوض معركة شرسة ، ضد أمريكا وإسرائيل ومخططاتهما فى المنطقة ، إلا ان نحذر

هذه الأنظمة من العمل، بالشكل المعاكس لتيار الأمة الناهض والمقاوم للاستعمار والصهيونية ، وعليها أن تتعلم، من المقاومة الإسلامية فى لبنان ، دروساً كبيرة فى الإصرار على مقاتلة العدو ، حتى إلحاق الهزيمة به ، كما أننا نحذر هذه الأنظمة من التورط بمشاريع استسلام جديدة، وبمشاريع عدوانية تستهدف الثورة الإسلامية الفتية.. لأن ذلك سيؤول بأقطاب هذه الأنظمة الى المصير نفسه الذى لاقاه أنور السادات ، ومن قبله نورى السعيد وغيرهما " .

جبهة عالمية للمستضعفين

" ونتوجه إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية ، لنعلن لها أن تجربة المسلمين ، فى إيران الإسلام ، لم تبق عذراً لأحد ، حين أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الصدور العارية المدفوعة بإرادة الإيمان قادرة ، بعون الله الكبير ، أن تحطم كل حديد الأنظمة الطاغوتية وجبروتها .

لذا فإننا ندعو هذه الشعوب ، لتوحد صفوفها وترسم أهدافها وتنهض ، لكسر القيد الذى يطوق ارادتها ، وتسقط الحكومات العميلة التى تتسلط عليها ، ونلح على جميع المستضعفين فى العالم،بضرورة تشكيل جبهة عالمية لهم تضم جميع حركاتهم التحررية ، بهدف التنسيق فيما بينها تنسيقاً كاملاً شاملاً ، من أجل تأمين الفعالية لتحركها ، والتركيز على نقاط ضعف أعدائها .

فإذا كان العالم المستعمر، بدوله وأنظمته كافة، يجتمع اليوم على حرب المستضعفين.. فإن على المستضعفين ان يجتمعوا ، لمواجهة مؤامرات قوى الاستكبار فى العالم.

وعلى كل الشعوب المستضعفة ، وخصوصاً الشعوب العربية والإسلامية ، أن تدرك بأن الاسلام وحده هو المؤهل ليكون الفكر المقاوم للعدوان ، بعدما أثبتت التجارب أن كل الأفكار الوضعية قد طويت الى الأبد ، لمصلحة التوافق الأمريكى مع السوفيات وغيرهم " .

www.liilas.com/vb3 ARAYAHEENA

الله الله فى وحدة المسلمين

" يا أيتها الشعوب المسلمة :

حاذرى من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التى تستهدف تمزيق وحدتك ، لتزرع الشقاق فيما بينك وتثير العصبيات المذهبية ، السنية والشيعية .

واعلمى ، أن الاستعمار ما استطاع ان يسيطر على ثروات المسلمين ، الا بعد أن سعى فى صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً .. يثير السنة على الشيعة ، ويحرّض الشيعة على السنة ، وأوكل هذه المهمة ، فيما بعد ، الى عملائه من حكام البلاد حيناً ، ومن علماء السوء احياناً ، ومن الزعامات التى سلطها على رقاب العباد .

فالله الله فى وحدة المسلمين .. فإنها الصخرة التى تتحطم عليها خطط المستكبرين والمطرقة التى تسحق مؤامرات الظالمين .

فلا تدعوا لسياسة " فرق تسد " أن تُمارَس فى بلادكم ، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .[آل عمران ١٠٣]

يا علماء المسلمين ان مسئوليتكم كبيرة جداً ، بحجم المصائب التى تحل بالمسلمين وأنتم خير من يقوم بواجبه،فى قيادة الامة نحو الاسلام،وفى توعيتها على ما يخطط له الأعداء للسيطرة عليها ونهب ثرواتها واستعبادها.

ولاشك أنكم تدركون ، أن المسلمين ينظرون اليكم ، بصفتكم حملة الأمانة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبصفتكم ورثة الأنبياء والمرسلين .. فكونوا الأمل والقدوة الحسنة فى المجاهرة بالحق والوقوف بوجه الطغاة والمتجبرين ، وكونوا القدوة فى الترفع عن بهارج الحياة الدنيا وزخرفها ، والتوق الى الجنة والشهادة فى سبيل الله .

يا علماء المسلمين إن الإمام الخمينى القائد أكد مراراً على ضرورة صلاح العالم ، واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين ، وقال فى أكثر من مقام : (إن الناس اذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح ، فيقولون : ان فلاناً غير صالح ، واذا عرفوا ان

تاجراً يغش الناس ، فيقولون : ان فلاناً غشاش ، أما اذا عرفوا ان عالم الدين – لا سمح الله – غير صالح ، فإنهم سيقولون: إن الدين غير صالح) !!

فيا علماء المسلمين ان موقعيتكم فى الأمة ، قد عرف المستعمر أهميتها ، ولذا فإنه وجه أقوى طعناته الى صدور العلماء المجاهدين .. فدبر مؤامرة شيطانية لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر ، بعدما أحس أنه عقبة كأداء ، فى وجه مخططاته العدوانية .. وقتل الفيلسوف الاسلامى الشيخ مرتضى مطهرى ، وأعدم المرجع الإسلامى الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر ، حيث أحس منه بخطورة موقفه الذى جسده بهذه الكلمات : (ذوبوا فى الامام الخمينى كما ذاب فى الإسلام " وها هو يتربص بكل الدوائر بكل عالم دينى يقوم بواجبه الاسلامى خير قيام) .

ومن ناحية اخرى، راح الاستعمار يخترق المسلمين ، بوعّاظ للسلاطين لا يخافون الله، ويفتون بما لا مجال فيه للفتوى ، فيجيزون الصلح مع إسرائيل ، ويحرّمون قتالها ، ويبررون خيانة الحكام الظالمين .

وما كان المستعمر ليفعل ذلك ، لولا أهمية تأثير العالم الدينى على الناس ، ومن هنا ، فإن من أهم مسئولياتكم يا علماء الاسلام ، أن تربوا المسلمين على الالتزام بأحكام الدين وتوضحوا لهم الخط السياسى الذى يسيرون على هديه ، وتقودوهم نحو العزة والرفعة ، وتهتموا بالحوزات العلمية ، بحيث تستطيع أن تخرج قادة مخلصين لله ، وحريصين على نصرة الدين والأمة .

كلمة أخيرة حول المنظمات الدولية

وأخيراً ، لابد من كلمة حول المنظمات والهيئات الدولية ، كمنظمة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن الدولى وغيرهما ..

فإننا نسجل ان هذه المنظمات ليست الا منبراً للأمم المستضعفة ، بشكل عام ، وتبقى عديمة الفاعلية، بسبب هيمنة دول الاستكبار العالمى على قراراتها ، إجراء أو تعطيلاً.

وما حق النقض – الفيتو – الذى تحظى به بعض الدول ، الا دليل على صحة ما نقول. ومن هنا فإننا لا نتوقع ان يصدر عن هذه المنظمات ما يخدم مصلحة المستضعفين وندعو كل الدول التى تحترم نفسها الى تبنى مشروع إلغاء حق النقض – الفيتو لدول الاستكبار .

كما ندعوها الى تبنى مشروع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، باعتبارها كياناً غاصباً وغير مشروع ، فضلاً عن كونه معادياً للنزعة الإنسانية .

أيها المستضعفون الأحرار ..

هذه هى تصوراتنا وأهدافنا ، وهذه هى القواعد التى تحكم مسيرتنا .. فمن قبلنا بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن رد علينا ، نصبر حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين (١)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

حزب الله

١٦ شباط ١٩٨٥

الفصل الثاني

البيئة التي نشأ فيها حزب الله

تحولات لبنان وظهور موسى الصدر

ولد حزب الله فى لبنان وجاهد من أجله ويسىء من يتقول اليوم أو غداً على هوية الحزب وجهاده وأن له أجندة إيرانية أو سوريه ، فالحزب قيادة وكوادراً وفكراً ودوراً، دماً وضحايا ، شهداء وجرحى ، كان لبنانياً أراد بعض السماسرة القدامى والجدد أم أبوا ، ولأنه كذلك فيهمنا هنا أن نرد تلك البيئة السياسية التى ولد الحزب فيها ، وعمل فى إطارها ، بيئة لبنان الدولة والوطن فماذا عنها ؟

تقع لبنان فى قارة آسيا فى الجانب الغربى على الساحل الشرقى للبحر المتوسط يحدها من الشمال والشرق سوريه ومن الجنوب فلسطين المحتلة ومن الغرب البحر المتوسط وتبلغ مساحتها ١٠٤٥٢ كلم٢ وعدد سكانها يقترب من ٥ ملايين نسمة .

لقد نال لبنان استقلاله رسمياً عام ١٩٤٣ بعد فترة من الوقوع تحت الانتداب الفرنسى بعد توقيع اتفاقية سايكس بيكو التى قسمت البلاد العربية مناطق ، ودويلات تقاسم النفوذ فيها انجلترا وفرنسا ، والنظام السياسى نظام جمهوري برلماني ورئاسي ، غلبت عليه السمة الرئاسية حتى عام ١٩٨٩ حتى (مؤتمر الطائف) الذى أعطى صلاحيات أكثر لمجلس النواب ،ورئيس الوزراء مع الإبقاء على الكثير من الصلاحيات لرئيس الجمهورية الذى ينتخب بأغلبية ثلثى أعضاء مجلس النواب ، ويشترط فيه أن يكون لبنانياً مارونياً ، وينتخب لست سنوات ولا يجوز اعادة انتخابه إلا بعد انقضائها .

أما رئيس الوزراء فيقوم الرئيس بتعيينه ولا يوجد قيد على الرئيس فى الاختيار سوى أن يكون من المسلمين السنة .

يتم اختيار أعضاء مجلس النواب اللبنانى عن طريق نظام انتخابى فردى وسرى مباشر، ويراعى النظام الانتخابى تمثيل الطوائف ، والانتخاب حق لكل مواطن ذكر أو

أنثى ، ورئيس البرلمان من المسلمين (الشيعة) والنظام الحزبى اللبنانى يقوم على أساس التعدد ويوجد فى لبنان عدد كبير من الأحزاب السياسية يصعب حصرها ، وتتضاءل أهميتها نظراً لكثرة عددها ، وسيادة الطائفية ، ووجود زعامات محلية ودينية قوية ، خارج الأحزاب ، هذا بالإضافة للأزمة التى تمر بها أحزاب اليمين واليسار من تجديد الخطاب أو استحداث الآليات السياسية والبحث عن جماهير وقواعد للحزب .

فى هذا السياق يمكن التوقف أمام بعض المحطات المهمة فى تاريخ لبنان :

١٩٦٩ : اتفاق القاهرة الذى نص على تنظيم الوجود الفلسطينى فى لبنان وشرع الكفاح المسلح.

١٩٧٣ : مواجهات دامية بين الفصائل الفلسطينية والجيش اللبنانى .

١٩٧٥ : يوم ١٣ نيسان (أبريل) : ارتكبت مجزرة بحق ركاب باص فلسطينى انطلقت بعدها شرارة الحرب اللبنانية وعرفت بحرب السنتين .

١٩٧٧ : هدنة بين المتحاربين ودخول القوات العربية الى بيروت لتبقى بعد فترة القوات السوريه وحدها .

١٩٧٨ (آذار / مارس) : القوات الإسرائيلية تتقدم حتى مشارف مدينة صور بهدف معلن وهو إخراج منظمة التحرير الفلسطينية .

١٩٧٨ (آب / أغسطس) : اختفاء الامام موسى الصدر فى ليبيا ونشوب صدام مسلح بين الفصائل الفلسطينية وحركة أمل .

١٩٨٢ (حزيران / يونيو) : اجتياح الجيش الإسرائيلى للبنان ووصول القوات الإسرائيلية الى بيروت وخروج ياسر عرفات وأنصاره .

١٩٨٢ (حزيران / يونيو) : الامام الخمينى يرسل فرقاً من الحرس الثورى لمساندة اللبنانيين فى مقاومة الاحتلال الصهيونى .

www.liilas.com/vb3
ARAYAHEEN

١٩٨٢ (تشرين أول / أكتوبر) : مجزرة مروعة ارتكبها الجيش الإسرائيلى بمساعدة بعض الفصائل المسيحية والميليشيات راح ضحيتها الآلاف من المواطنين الفلسطينيين والعرب فى مخيمى صبرا وشاتيلا فى بيروت .

١٩٨٢ : انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية بمعاونة وضغط إسرائيلى .

هذا ويحدثنا التاريخ أن ما حدث بعد اتفاقية ايكس بيكو كان شديد الوطأة على المسلمين، فهذه الاتفاقية كانت تقضى بالتسلط على الشرق ، وتقسيمه الى أماكن نفوذ بين القوى الغربية وعلى رأسها انجلترا وفرنسا ، كما كانت تهدف هذه الاتفاقية إلى القضاء على الخلافة الإسلامية آنذاك وشق الجسد العربى والاسلامى حتى يستحيل إعادة توحيده ومن هنا التقى الحلم الصهيونى مع خطط الامبريالية ليحدد مكان التنفيذ وهى تلك البقعة التى تربط بين الشرق العربى والاسلامى فى آسيا ، والغرب العربى الاسلامى فى أفريقيا هذه البقعة صاحبة التمايز السياسى والتاريخى والحضارى والدينى للمسلمين والعرب ، (فلسطين) .

كانت خسارة فلسطين إذن امتداداً للخسارة التى لحقت بالمسلمين والتى شكلت عاملاً جديداً من عوامل البحث عن امكانية استعادة الذات فاندلعت الثورات ، وظهرت حركات تحرر ولكنها للأسف لم تفلح فى الوصول الى أهدافها ، وبقيت قاصرة عن تحقيق الطموحات الجماهيرية ، لأسباب عدة وجوهرية لعل منها غياب الاستراتيجية ، أو عدم وضوحها ، وبذلك وقعت فريسة فى أيدى المخططين الكبار وكان لبنان ولايزال أبرز البلاد التى تمثل جزءاً من المشروع الصهيونى للوصول الى مياه نهر الليطانى لرى الجليل الأعلى والحصول على الطاقة الكهرمائية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يُخطط أن يكون لبنان ضمن الدولة الصهيونية المزمع انشاؤها من النيل الى الفرات .

استطاعت إسرائيل كخطوة أولى السيطرة على نهرى الحصبانى والوزانى ، ثم مارست ضغوطاً سياسية ودولية لمنع لبنان من الاستفادة من مياهه ، كما فى قضية

مشروع الليطانى. هذا بالاضافة الى سببين آخرين هما : الارتباط التاريخى الذى لن يجعل لبنان تقف موقف المتفرج لكون المجموعة البشرية التى تشكلت منها دول المنطقة كانت قبل وقت قصير تمثل وحدة جغرافية وسياسية واحدة .

الثانى : الخطر المحدق بإسرائيل والذى مثلته المقاومة الفلسطينية التى كانت أول مقاومة منظمة ذات قيادة سياسة وعسكرية ، وتعتمد على مركز انطلاق خارجى (لبنان) وامتداد داخلى فى فلسطين وتمارس عملاً مسلحاً لا ينحصر فى البقعة المحتلة فقط ، واستطاعت قواتها العسكرية السيطرة على الأراضى اللبنانية ، واتخاذها دولة داخل دولة فيما عرفت بدولة (الفكهانى) وأصبح لها صفة المؤسسة الرسمية ، لتطل منه على صراعها المسلح مع الدولة الصهيونية ، واستطاعت ان تستقطب فى صفوفها أعداداً متزايدة من أبناء البيئة الشعبية التى عملت فيها خاصة الشبان الجنوبيين الذين انخرطوا فى صفوفها وتشكلوا فى تنظيماتها المختلفة، فالجنوب يضم بين قراه ومدنه تلك المجموعة السكانية التى تحمل فكراً دينياً وقومياً متطوراً فى السياسة والثقافة بالإضافة الى الرصيد الكبير من المقاومة بما يسمح له ان يكون رقماً مستقبلياً لحساب البلاد العربية والإسلامية .

هذا الذى سبق هو ما دفع القوات الإسرائيلية فى آذار (مارس) ١٩٧٨ للتقدم إلى مشارف مدينة صور فى حملة كان أحد أهدافها إخراج منظمة التحرير الفلسطينية لكى تحقق من خلاله أهدافاً متصلة بالرؤية الإسرائيلية ووفقاً لقواعد أيديولوجية وسياسية وتوسعية جغرافية تتصل بالماء والأرض والأمن .

أنتج الاجتياح الإسرائيلى مناخاً متقلباً خلط الوقائع والأحداث اللبنانية ودفع الى حالة من حالات الانقسام المناطقى والطائفى .

هذه الحالة دفعت بإسرائيل لتوسيع نفوذها فى لبنان من خلال الهجمات على القرى والبلدات مما يزيد معاناة السكان ، تبعها هجوم جوي إسرائيلي على لبنان فى تموز (يوليه) ١٩٨١ أعقبه زيادة تدخل فى الأوضاع اللبنانية عن طريق التحالف العسكرى

الذى أنشأته مع الميليشيات المسيطرة على الشطر الشرقى للعاصمة وفى الوقت الذى بلغ فيه القتال المحلى مبلغاً أنهك العاصمة بيروت والمناطق الجنوبية .

كانت المساحة المستباحة من قبل سلاح الجو الإسرائيلى تتجاوز الهدف الأمنى الى الهدف السياسى حتى توقع الحكومة اللبنانية على كل الشروط الإسرائيلية .

شكل مجلس حرب مصغر وحشدت قوات عسكرية ضخمة على الحدود الشمالية فى حالة تأهب قصوى وتهديد سافر بعمل عسكرى فى الأراضى اللبنانية كما زودت الميليشيات المسيحية بأسلحة لمساعدتها فى القتال ضد الفلسطينيين وجموع اليسار .

على الجانب الآخر كان المشهد الاقليمى فوق بركان مشتعل حيث الحرب العراقية الإيرانية قد اشتعلت وفى هذه الأثناء بدأت إسرائيل اجتياحها للأراضى اللبنانية فى ٦ حزيران (يونيه) ١٩٨٢ ووصل الجيش الإسرائيلى بيروت فى اليوم الثالث لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ لبنان .

****

كانت المرحلة الجديدة فى تاريخ لبنان تكتب بحروف من دم ونار فى الجنوب، منطقة (جبل عامل) صاحبة التاريخ الهام فى بناء لبنان الحديث والمنطقة فكراً وسياسة ، ويحدثنا التاريخ أن جبل عامل أخذ اسمه من قبيلة عاملة اليمنية التى خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلت بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عامل . يتمتع جبل عامل بموقع استراتيجى مهم بالرغم من كثرة الآراء فى حدوده ، فهو من جهة يشكل امتداداً لسلسلتى جبال لبنان الغربية والشرقية ، ومن جهة اخرى فهو فى الوسط بين جبل لبنان وسوريه وفلسطين ، فحدوده الجغرافية ثابتة اما حدوده السياسية فمتغيره وفقاً للأوضاع الاقليمية ولكن تبقى أواصر العلاقات والصلات التى تربط بين أهل ذلك الجبل جميعاً .

ويتشكل جبل عامل من عناصر دينية ومنهجية متنوعة يغلب عليها الشيعة الذين يتأمرون بأمرة علمائهم ، ومرجعيتهم الذين قادوا مجتمعهم فى كل الظروف المختلفة

ويرتبط هذا الدور بالفهم الشيعي والاسلامي لموقع الدين في حياة المجتمع إذ يتولى علماؤه شرح الدين مرتبطاً بالسلوك والأخلاق والسياسة والحرب ، وكل أشكال الحياة الاجتماعية الاخرى ، وأسسوا قاعدة صلبة توارثتها الأجيال جيل بعد جيل منذ ان تأسست على يد (الشهيد الأول) الشيخ محمد بن مكي الجزيني الذي جعل من جزين مدرسة علمية دينية لنشر أفكاره ولتعميم التعليم الديني في جبل عامل ، فضلاً عن سعيه لبعث نهضة علمية شيعية تستعيد مركز جبل عامل السياسي ، وكانت فلسفته تقوم على رؤية واجتهاد فقهي لنظام الحكم ركيزتها الفقهاء أو ما أسماه (نائب الإمام) بما لها من مدلول سياسي وفقهي لكن سلطة الحكم المملوكي تأمرت عليه فقتلته بعد محاكمة صورية قبل أن ينتهي من تأسيس نظريته ويباشر تطبيقها وبدأت السلطة تتعقب العلماء مما دفعهم للجوء الى إيران بعد ان سقط (الشهيد الثاني) الشيخ زين الدين بن علي الجبعي . كانت سنوات الاضطهاد تدفع العلماء والطلاب الى الهجرة لإيران والعراق فنشأ ترابط بين المراكز الدينية والعلمية الثلاثة في قم ، والنجف ، وجبل عامل ، وبرز علماء لبنانيون ذاع صيتهم في آفاق العالم الاسلامي ، واتخذوا من جبل عامل موطناً لهم ، كان من أمثالهم السيد عبد الحسين شرف الدين ، والسيد محسن الأمين ، وبعد ان تغيرت الحال من الحكم العثماني الى الاستعمار الغربي كانت وقفة علماء الدين موقف الرافض فكانت دعوتهم للوحدة في اطار الدولة السورية وحكومتها العربية ورفضوا التجزئة الاستعمارية ، ولم تنته احتجاجاتهم ورفضهم الا بعد جلاء المستعمر وقيام الدولة اللبنانية المستقلة .

مع قيام الكيان الصهيوني وتحديد الحدود اللبنانية بعدة سنوات جاء إلى لبنان السيد موسى الصدر ، الذي مثّل الأب الروحي لحزب الله وللجيل الذي أنشأ الحزب وقاده وسط بحار الفتنة الداخلية والهيمنة الإسرائيلية الخارجية ، فماذا عن هذا السيد وعن أفكاره ورؤاه .

موسى الصدر الأب الروحي لحزب الله

يوم ٣٠ أغسطس / آب من العام ٢٠٠٣ مر ربع قرن على غيبة الامام آية الله السيد موسى الصدر ، العالم والسياسى والفقيه الاسلامى البارز ، فلقد اتجه الى ليبيا يوم ١٩٧٨/٨/٢٥ وكان مقدراً له ان يلتقى العقيد القذافى مساء يوم ١٩٧٨/٨/٢٩ ، ثم يغادرها الى روما الا إنه لم يصلها ، رغم الرواية الليبية التى زعمت وصوله ورفيقيه (الشيخ محمد يعقوب والصحافى عباس بدر الدين) ، أكثر من ربع قرن إذن على غيابه.. والذى تضاربت بشأنه الروايات ، التي وصلت الى حد اتهام ليبيا ، بقتله نتيجة حوار حاد جرى بين (العقيد) و(الامام) على خلفية الدور الليبى فى الحرب الأهلية اللبنانية وقتها .

وأياً ما كانت الرواية الصحيحة فى كل هذا المشهد ، فإن مآل إثباتها يحتاج الى بحث آخر. ووثائق آخرى جديدة ، خاصة أن العديد من الأطراف استثمرت غيبة الرجل وتاجرت بها، دونما تقدير لمكانته ودوره أو للحقيقة والتاريخ ذاتهما ؛ وعليه فإن ما سنتوقف أمامه خلال هذه الدراسة ، ليس هو قضية إختفاء (الصدر) أو مصرعه،ولكن فكر الرجل ومشروعه والذى ربما كان السبب الذى أوصله الى هذه النتيجة المؤلمة :الغياب أو التغييب أو القتل .فماذا عن مشروعه وماذا عن مؤثرات النشأة والتعليم فى تشكيل هذا المشروع ثم ماذا عن ملامحه وركائزه ؟

• • •

(١) النشأة والتعليم

كما هو معلوم ، ولد الامام السيد موسى الصدر فى مدينة قم الإيرانية فى أحد أحيائها المعروفة واسمه (زقاق عشاق على : " عشقلى ") وذلك يوم ٤ يونيو / حزيران من العام ١٩٢٨ ، وهو ابن لأحد العلماء الكبار من ذوى الأصول اللبنانية وهو السيد صدر الدين ابن اسماعيل صدر الدين صالح شرف الدين ، والأخير جاء إلى إيران من جبل عامل فى لبنان ؛ وتدرج السيد موسى الصدر فى مراحل التعليم الدينى والمدنى الى مستوى متقدم فحصل فى الجانب الدينى على ما يسمى لدى الحوزة الشيعية بمراحل

www.liilas.com/vb3 ARAYAHEEN

(السطوح ثم الخارج فى الفقه – الخارج فى الأصول – الفلسفة) ثم حصل فى التعليم المدنى على ليسانس فى الحقوق الاقتصادية من جامعة طهران عام ١٩٥٣ (وكان أول عمامة تدخل حرم الجامعة كما يقول معاصروه) ، وأتقن فى سنى تعلمه العديد من اللغات أبرزها (الفارسية – العربية – الانجليزية – الفرنسية) ولقد مثلت ثلاث دول بالنسبة اليه محطات رئيسية فى مساره الفكرى والسياسى ، أولاها إيران ، وثانيتها : العراق (وبخاصة النجف الأشرف) ، وثالثتها (لبنان) التى استقر بها منذ عام ١٩٦٠ فى مدينة صور ، وبدأ فيها مشواره ومشروعه الأكثر تأثيراً وفاعلية .

* هذا وقد تركت بعض الشخصيات الدينية والسياسية بصمات واضحة فى فكره وسلوكه ، بل فى مجمل مشروعه وميزته بميزات خاصة من أبرز هذه الشخصيات (السيد حسين الطباطبائى القمى " وهو جده لأمه " والسيد الشهيد باقر الصدر الذى أفردنا له الفصل الثانى فى هذا الكتاب – الشهيد آية الله المطهرى – الشهيد آية الله بهشتى – السيد رضا الصدر (وهو شقيقه) – السيد محسن الحكيم – السيد أبو القاسم الخوئى – السيد البروجردى وآخرين) إلا إننا نتوقف أمام ثلاث شخصيات بارزة كان لها بصمتها الواضحة على توجهات (الصدر) ومشروعه الفكرى / السياسى ، وهى [الامام آية الله الخمينى (إيران) – آية الله السيد محسن الحكيم (العراق) – آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين (لبنان)] هؤلاء الثلاثة ، والذين وجدوا على خريطة التطور الفكرى والحياتى للصدر عبر الثلاثين عاماً الأولى من عمره ، وفى أماكن متفرقة تمتد من إيران الى لبنان مروراً بالعراق ، تركوا تأثيراتهم الفكرية والسياسية على الرجل ، وساهموا مع عوامل أخرى (أبرزها بالقطع تميزه وعلمه وشخصيته القوية الفاعلة) فى إكساب مشروعه خصائصه المؤثرة والتى من أبرزها ثلاثية (الحرية ، والمقاومة ، والحوار) فإذا كان تعلمه من الإمام (الخمينى) ومصاحبته ،قد أكسباه قناعة مبكرة بمشروعية خيار (المقاومة) ضد قوى الاستعمار ومن ينوب عنهم فى منطقتنا باعتبار ان التميز الأكبر لآية الله الخمينى كان تركيزه الدائم على خيار المقاومة ضد الاستبداد

والاستعمار ، فإن مواقف ودعوات السيد محسن الحكيم قد جعلته يؤكد على قيمة (الحرية) فى مواجهة الحكام الطغاة المستبدين الذين كانوا يحكموا البلاد التى عاش فيها المراحل الأولى فى حياته ، سواء إيران أو العراق فى الأربعينيات والخمسينيات ، ولكن وجود عالم جليل مثل السيد عبد الحسين شرف الدين ، وفى بلد متعدد الطوائف والأهواء السياسية مثل لبنان ، طبع مشروعه بقيمة سياسية فكرية أخرى هى قيمة (الحوار) مع الآخر السياسى أو الدينى على أرضية مصلحة الوطن المشتركة ؛ ورغم تميز كل واحد منهم بخاصية تفاعلت وأثرت فى (الصدر) فإن الانصاف العلمى يدفعنا إلى التأكيد على أن كلاً من هؤلاء العلماء كان يجمع فى شخصه وفكره وسلوكه تلك الخصائص الثلاث [المقاومة – الحرية – الحوار] مجتمعة بل أكثر منها ، وإن بدرجات متفاوتة ، إلا أن تأثر (الصدر) بهم تفاوت كل حسب العلاقة به ومدتها وطبيعتها ، الا إن الذى ظل حاكماً طيلة هذه الرحلة التربوية هو أن شخصية هذا العالم/ السياسى (موسى الصدر) المميزة ، كان لها الدور الأبرز فى انتخاب ما تراه مناسباً لمشروعها من فكر ومواقف هؤلاء الأساتذة ، فلقد كان (الصدر) ؛ ذكياً ، لماحاً، سريع البديهة ، متحدثاً هادئاً ، وعالماً فقيهاً ، ومحاوراً مؤثراً ، وسياسياً محنكاً يصفه أحد معاصريه (آية الله موسى شبيرى زنجانى) بقوله : " كان السيد الصدر يتمتع بمزايا علمية وأخلاقية وروحية ، فكان يمتاز بسرعة الإدراك والاستيعاب مع إدراك أصيل متطابق مع الفطرة ، وكان باحثاً عن روح الحقيقة وتميز بالقدرة على البيان فكان بيانه واضحاً خالياً من التعقيد " ويصفه آية الله مشكينى " ان كل شخص يتحدث عن السيد الصدر بكلام حسن يرتفع مقامه ومنزلته ، فمقامه رفيع جداً لأننا نعرفه إنساناً ملتزماً بالتعاليم الإلهية ، ورجلاً عارفاً بالديانة وعارفاً بالسياسة " .

هذه السمات الخاصة لشخصية الصدر ، جعلته يستوعب كافة المؤثرات الإيجابية من أساتذته ومن تجربته ورحلاته ومواقفه ، ويهضمها جميعاً ثم يخرجها فى نسق جديد

وتوليفة جديدة تتناسب وزمانه ، ومكانه (لبنان) الذى فيه عاش وفيه تأسيس مشـــروعه الأكبر بركائزه الثلاث آنفة الذكر والتى سنحاول تفصيلها فيما يلى من سطور ٠

***

(٢) ركائز مشروع الصدر

كانت " المقاومة " كقيمة وسلوك ، بمثابة الركيزة الأولى الأبرز فى مشروع (الصدر) السياسى والتى قدمها فى سياق فكرى ، وفى سياق استنهاضى شامل لفقـــراء لبنـــان ، الذين تصادف أنهم كانوا من الشيعة ، لم يفهم (الصدر) المقاومة بالمعنى " المســلح " المحدود أو المباشر للكلمة فحسب ، بل فهمها كمشروع استنهاض اقتصادى واجتماعى وسياسى ٠٠ثم وأخيراً "مسلح" ضد الفساد،والظلم الداخلى ثم ضد العـــدوان الخـــارجى (إسرائيل) فى هذا السياق يمكن وضع إنشائه لمنظومة مـــن المؤسســـات الاقتصـــادية والاجتماعية البارزة فى اطار فهمه لقيمة (المقاومة) ولمعناها

فى هذا الإطار نتذكر انشاءه لـــ [هيئة نصرة الجنوب – مجلس الجنوب – جمعية البر والإحسان فى مدينة صور وإعادة تنظيمها – مؤسسة بيت الفتاة (وعلينا هنا ان نقـــف بانتباه أمام دوره الفاعل والمستنير تجاه المرأة ودورها الرسالى) – معهـــد التمـــريض النسائى – مؤسسة جبل عامل المهنية – معهد الدراسات الإسلامية (وهو المعهد الـــذى تتلمذ فيه السيد الشهيد عباس الموسوى أمين عام حـــزب الله) – المجلـــس الاســـلامى الشيعى الأعلى (فى ١٩٦٧/٥/١٦) – إنشاء (حركة المحرومين) فى عام ١٩٧٤] ثم كانت قمة هذه التحركات والمؤسسات هى إنشاء الجناح العسكرى لحركة المحـــرومين المسمى أفواج المقاومة اللبنانية " أمل " فى ١٩٧٥/٧/٦ ويومها جاء الاعلان على إثر انفجار لغم بدورية عسكرية أدى الى استشهاد ٢٦ وجرح أكثر من ٧٠ فـــى معســـكر عين البنية ، يومها قدم (الصدر) اعلانه عن أفواج المقاومة بقوله أنه يقـــدم " أمـــل " باعتبارها " أزهار الفتوة والفداء ممن لبوا نداء الوطن الجريح الذى تستمر إسرائيل فى

الاعتداء عليه من كل جانب وبكل وسيلة ، فيما لم تقم السلطات المسئولة بواجبها الدفاعي مقابل تلك الاعتداءات التي بلغت ذروتها على الوطن والمواطنين " .

* إذن .. لقد فهم الامام الصدر ، مشروع المقاومة باعتباره مشروعاً شاملاً ، لا يستقيم حصره في بعده المسلح فحسب ، بل ان هذا البعد لا يمكن أن يُضمن بقاؤه الا في سياق استنهاضي واسع ، يكون أصحابه قادرين على تقديم الدعم ، وتقديم المجاهدين ، بل الاستشهاديين للمقاومة ، فضلاً عن قدرتهم على خلق بنية متماسكة اجتماعياً تشد من أزر القوة المسلحة .

* وفي نطاق هذه الركيزة : ركيزة المقاومة ؛ ينبغي الاشارة الى هذا الوعي والإدراك المبكر للسيد موسى الصدر ، لطبيعة القضية الفلسطينية ، ولموقعها في مسار التطور السياسي للمنطقة ككل ، وكون فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية الإسلامية ، وأن استردادها بعد طول غياب واغتصاب ، لن يكون بغير المقاومة ، في هذا السياق أتت مواقفه وكلماته معبرة عن هذه القناعات ومؤكدة لخيار المقاومة ، والذي يعد أحد الأضلع الثلاثة البارزة من ركائز مشروع الصدر السياسي / الثقافي ؛ فهو في هذا الصدد يقول : " وُلدت إسرائيل عام ١٩٤٨ كجسم غريب في هذه المنطقة، حيث زُرعت زرعاً فيها، ولكنها بقيت جسماً غريباً، لا تعامل : لا تجارة، لا ثقافة، لا زيارة، أبداً.. إذاً: إسرائيل حتى الآن جسم غريب معزول، لكن إذا بدأ التعامل معها ، فإن معنى ذلك أنّ إسرائيل ترسّخت وتكرّست وبقيت في المنطقة ".

- " تعرفون أنّ إسرائيل تطمع بالجنوب، تطمع بمياه الجنوب، تطمع بأمن الجنوب، وتريد أن تجعل الجنوب حزام أمن لها " .

- " إنّ لبنان دولة مواجهة، ولا يمكن لمجتمعه إلاّ أن يكون مجتمع حرب وجدّ، لا أن يكون مجتمع رخاء واستهلاك " .

- " إنني كنت ولا أزال مؤمناً بأنّ إسرائيل - هذه الدولة العنصرية بما لها من أبعاد - هي شر مطلق، لذلك فإنّ الواجب يتطلب الوقوف في وجهها ".

ومبكراً جداً وتحديداً يوم ١٩-١١-١٩٦٩ عقد الصدر مؤتمراً صحافياً قال فيه:

- إنّ إسرائيل بوجودها وبما لها من أهداف تشكّل خطراً علينا محدقاً على جنوبنا وشمالنا، على أرضنا وشعبنا، على قيَمنا وحضارتنا، على اقتصادنا وسياستنا.

- مجاورة هذا الخطر الدائم الداهم تقتضي الاستعداد الدفاعي والسياسي والإعلامي والاقتصادي.

- الاستعداد لهذه المعركة المحتومة يتطلّب إضعاف الخصم بأي صورة وفي أي حقل، وكلنا يعرف أنّ من أفضل الوسائل لتحقيق هذا وجود المقاومة ونموّها، ما يعني أنّ دعمنا للمقاومة ومشاركتنا في تصعيدها وحرصنا على سلامتها هو جزء من استعداداتنا لمجابهة العدو، لذلك فهي تنطلق من نفس المبدأ الذي ينطلق منه السعي للمحافظة على الوطن والدفاع عنه ولا تتناقض معه إطلاقاً.

- إن معركتنا هي ذات وجوه كثيرة، فهي معركة حضارية طويلة الأمد، إنها معركة الماضي والمستقبل، معركة المصير، وهذا يعني أنّ المطلوب منّا هو الاستعداد ليس لأجل الأيام والأسابيع القادمة بل للسنوات ولعشرات السنين وعلى جميع الجبهات وبكل المستويات ومع جميع الطاقات.

- النتيجة الحتمية هي ضرورة مشاركة جميع اللبنانيين (بل العرب أجمع) في تحسين أوضاع الجنوب دفاعياً واقتصادياً ونفسياً وجعله مستعداً للصمود ولخلق السدّ الأول في وجه العدو.

- إنّ الحاجة الى الأوطان ليست ترفاً فكرياً أو رغبة في اتساع رقعة المسكن أو اتفاقية مكتوبة تربط بين المناطق المتعددة، بل هي حقيقة التطور والنمو التدريجي في المنافع والأخطار والمصالح والأضرار، وهي أيضاً المشاركة الحقّة في الآلام والآمال. وبقاء الأوطان وخلودها ليس أنشودة ولا حلماً، ولا التزامات وطنية أو دولية، بل هو الوحدة الحقيقية في الاتجاه، في المبدأ، المتكوّن من الآلام والمنافع، وفي المنتهى المتجسّد بالآلام والطموحات.

www.liilas.com/vb3
RAYAHEEN

ومن الأقوال المأثورة للسيد موسى الصدر عن القضية الفلسطينية : " بجبتي وعمامتي ومحرابي أحمي الفلسطينيين والقضية، لأنها قضية حق وعدل، قضية المسلمين، ونسأل الله أن ندخل المسجد الأقصى مع مجاهدين أولي بأسٍ شديد "، ويوضح الصدر ملامح المستقبل ويطرح قناعاته أمام من باعوا القضية، فيقول بصراحة المؤمن الرسالي "إنّ شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين"، ويتابع: "يا أيها العالَم الذي انزعجتَ من انتشار وجودنا وعمق تأثير أبنائنا، فمن تبنّينا لقضية فلسطين ولنضال شعبها العادل، ومن إلقائنا لكلمة فلسطين في الأمم المتحدة، ومن حمايتنا لثورتها وثوّارها ومكاتبهم ومخيماتهم.. إننا رغم معاناتنا (التي تجاوزت كل حد) باقون في ذات الموقع، وسوف نتعاون معهم في إعادة التقييم لمرحلة ثورتهم المقبلة وفي وضع استراتيجية جديدة لها وفي حماية قضيتهم العادلة الى يوم العودة ".

– " إنّ القدس التي هي عاصمة بلدهم هي قِبلتنا وملتقى قِيَمنا وتجسيد وحدتنا ومعراج رسالتنا، إنها قدسنا وقضيتنا، وجهادهم في سبيل تحريرها جهادنا ومسؤوليتنا " .

***

(٣) الحرية

الركيزة الثانية فى مشروع الصدر السياسى / الفكرى ، هى "الحرية" ، دعوة وسلوكاً ، قناعة وفعلاً ؛ وهو فى مجال تحديده لطبيعة ومجال تلك الحرية ، وسعها الى الحد الذى جعل مقاومة (الحرمان الثقافى) على حد تعبيره وقتذاك مدخلاً للحرية التى ينشدها، وجعل من إنهاء (الحرمان الاقتصادى) الذى يعانيه شعبه (سواء فى إيران أو لبنان أو العراق) قريناً بمقاومة الاستبداد السياسى الذى فرضه حكام طغاة من عينة شاه إيران السابق ، فى هذا الاطار كانت مواقفه المميزة المساندة للانتفاضات الشعبية فى إيران خلال حقبتى الخمسينيات والستينيات وكذلك مساندته الفعالة للشعب العراقى ضد الاستبداد الذى عاناه خلال نفس الفترة ، وزاد كماً ونوعاً مع قدوم البعث الى السلطة عام ١٩٦٨ ، وكانت أبلغ لحظات إدراكه قيمة الحرية المقاومة للاستبداد هى لحظات اندلاع الثورة الإسلامية فى إيران ، والتى كان الصدر قد تنبأ بها بل ودعا اليها سواء فى مواقفه المعلنة أو كتاباته المؤثرة والتى كان أبرزها مقال له نشر فى جريدة لوموند الفرنسية قبل أسبوع واحد من اختفائه (تحديداً يوم ١٩٧٨/٨/٢٣) .

ولبلاغة وثقافة أفكاره نورد هنا أبرز ما حواه والذى يمثل موقفاً متقدماً ضد الاستبداد ، ومع الحرية بمعناها الشامل: يقول الصدر : " تختلف انتفاضة الشعب الإيراني عن كل الحركات المماثلة لها في العالم، فهي تفتتح منظوراً جديداً للحضارة العالمية، ومن هنا فهي تستحق اهتمام جميع المعذّبين اليوم بقضايا الإنسان والحضارة، فحركة الشعب الإيراني برغم اتساعها وبرغم الاتهامات التي تلصقها بها السلطة تتمتع بأصالة كبيرة سواء من حيث اتجاهها، أو من حيث مكوّناتها الشعبية، أو من حيث مبادئها وأهدافها، أو من حيث أخلاقياتها، فقوى اليمين غائبة عن انتفاضة الشعب الإيراني برغم وجود البترول والمصالح الكبرى التي يمثّلها، وكذلك الأمر بالنسبة لليسار الدولي، فهو كذلك غريب عن هذه الانتفاضة برغم وجود أكثر من ألفَي كيلو متر من الحدود المشتركة بين إيران والاتحاد السوفياتي، والحزب الشيوعي الإيراني ليس له دور كبير في هذه

الانتفاضة مع أنه أقدم أحزاب المنطقة، إذن فكل من قوى اليمين واليسار بحدود ارتباطهما المباشر بالكتلتين الدوليتين ليس لهما تأثير على مجرى الأحداث.

والشعب الإيراني يعرف ذلك جيداً، فهو يعرف انّ النظام الذي اتهم الانتفاضة بالرجعية يتجاوز كل الأنظمة الرجعية من حيث انتهاكه للحريات وأساليبه البائدة في الحكم، فالشعب الإيراني يعلم أنّ النظام لا يتردد في التضحية بمصالح الأمة وفي توزيع ثرواتها على القوى العظمى ليحظى برضاها، وعندما يقارن الشعب هذا السلوك مع أصالة المعارضة فإنّه لا يتورع عن التضحية من أجل هذه الأخيرة، وهو برغم أنه أعزل فانه يدلي بشهادة الدم بشكل بطولي ويوجد قوة ليس لأي كائن القدرة على تحطيمها.

والثوريون الإيرانيون لا يمثّلون شريحة اجتماعية جديدة، فالطلبة والعمّال والمثقّفون ورجال الدين يساهمون جميعاً في الثورة، إنها حركة شعب في تنوّع أجياله، في : الأسواق والمدارس والمساجد والمدن وحتى في أصغر الدساكر، وهذا ما يجعل النظام يتهم اليمين واليسار والشرق والغرب والعرب بمختلف أنظمتهم وحتى الفلسطينيين.. وهو بذلك يعترف باتساع الانتفاضة الشعبية وعمقها.

وحركة معارضة نظام الشاه تستند الى إعلام خاص بها، فتصريحات قادتها وخطبهم تبلغنا بواسطة أولئك الذين توجّه لهم التصريحات والخطب في قلب الشعب الإيراني.

والحق أقول: إنّ هذه الحركة وازعها الإيمان، وأهدافها هي أهداف إنسانية مفتوحة وأخلاقية ثورية، وهذه الموجة التي تهبّ اليوم على إيران تذكّرنا بنداء الأنبياء، وهي حركة حدّد زعيم المعارضة الإمام الأكبر الخميني أهدافها بوضوح في حديث أدلى به لصحيفة لوموند بتاريخ ٦أيار، حيث شهد بأصالة هذه الحركة وأشار الى أبعادها القومية والثقافية والتحررية.

إنّ أحداث إيران وما طرأ عليها من تحول دراماتيكي تضع العالم أمام جملة من المعطيات الأساسية:

- التجربة الإنسانية التي تخاض في إيران تستحق أن تُدرس وان يدافَع عنها ضد الدعاية المغرضة من قبل كل من يهتمون بقضايا الإنسان والحضارة.
- نظام الشاه بعد ٤٠ سنة من التسلّط وبرغم الإمكانات الكبيرة المتاحة أمامه قد فشل حتى أن يحمي نفسه من غضب الشعب، علماً أنه يمتلك في الوقت الحالي أكبر مخزون للأسلحة في العالم الثالث.
- القيم الأخلاقية للإنسان المتحضر باتت مهددة في إيران، ولا يمكنها أن تنفذ طالما واصل النظام سفك الدماء وخنق الحريات مع ادعاء الدفاع عن "التقدم والحضارة"] .

والصدر حين أسس أهم مؤسستين في حياته داخل لبنان كانت (الحرية) حاضرة في مشروعه وفي بنود التأسيس ونقصد بهما [المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى ١٩٦٧] و(حركة المحرومين عام ١٩٧٤) وفي الأخيرة وضحت هوية دعوته أكثر حين قال في مهرجان صور الذي جمع فيه مائة ألف مؤيد يوم ١٩٧٤/٥/٥ [إن حركة المحرومين تنطلق من الايمان الحقيقي بالله وبالإنسان وحريته الكاملة وكرامته وهي حركة ترفض الظلم الاجتماعي ونظام الطائفية السياسية وتحارب بلا هوادة الاستبداد والاقطاع والتسلط وتصنيف المواطنين ، وهي حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان] .

ان (الصدر) كان داعياً كبيراً للحرية ، والتي مثلت بالنسبة اليه اطاراً أرحب في مجال الفعل السياسي والثقافي والاقتصادي ، وهي (كقيمة عليا) حين تواجه الاستبداد ، فهي بذلك تمهد للمقاومة وتوفر لها المناخ الصحي للانطلاق ، وهو المناخ الذي ان لم يستند أيضاً على ضلع ثالث هو الحوار مع الآخر السياسي والديني فلن يكون مناخاً منتجاً إنها إذن ثلاثية (المقاومة والحرية والحوار) لدى هذا العالم والسياسي البارز والتي يتبقى منها ضلعها الثالث : " الحوار " ، فماذا عنه ؟

* * *

(٤) الحوار

قدر للسيد موسى الصدر أن يعيش قرابة العشرين عاماً الأخيرة من حياته قبل الاختفاء فى بلد متعدد الثقافات والطوائف ، بلد يختزن فى باطنه من "الصراعات" أكثر مما يخترق من "التوافقات" ، فلبنان التى زارها الصدر قبل أن يستقر فيها ثلاث مرات : (١٩٥٥ – ١٩٥٧ – ١٩٦٠) ، كانت تحكمها لغة الطائفية السياسية ، وان ادعت غير ذلك ، وهى لغة ظلت كامنة الى ان انفجرت الى شظايا لغة ، وشظايا وطن ، حين انفجر الوضع فى لبنان منتصف السبعينيات مفرزاً حرباً أهلية شرسة ، فى هذه الأجواء جاءت دعوات الصدر ، الداعية للحوار الداخلى ، الحوار السياسى والدينى ، مستهدفة خلق الإجماع الوطنى على أرضية التعايش المشترك من ناحية ومواجهة العدو المشترك (إسرائيل) من ناحية أخرى . وهو العدو الذى مافتئ يعتدى على لبنان منذ الستينيات وصولاً الى اجتياح جنوبه بالكامل أوائل عام ١٩٧٨ ؛ وكان الصدر فى دعوته تلك مؤمناً وفقاً لقوله "بأن الأديان واحدة فى البدء والهدف والمصير" وبأنه "ثمة ضرورة تاريخية لتفاعل الحضارات الانسانية ومكافحة الفساد والإلحاد" ، وفى مجال رصده لخطورة غياب "قيمة الحوار" داخل المجتمع اللبنانى وكيف أنها أدت الى الحرب الأهلية قال : " ان انفجار الوضع اليوم يؤدى الى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة وإلحاق الضرر الكبير بسوريه والقضية العربية ، وهذا لمصلحة العدو لذا نؤكد منذ البداية على المصالحة الوطنية فى اطار أسس جديدة للوطن تحقق العدالة الاجتماعية وتعالج الحرمان وتصون الجنوب " .

وعلى مستوى السلوك السياسى لتحقيق قيمة الحوار وإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية قام الصدر بالمشاركة فى اجتماعات القمة الإسلامية في "عرمون" (تكونت القمة من رؤساء الطوائف الإسلامية وبعض كبار الشخصيات الإسلامية السياسية)، حيث رفضت القمة الحكومة العسكرية ورحّبت بالمبادرة السوريه التي أدّت الى الوثيقة الدستورية المعلنة من رئيس الجمهورية بتاريخ ١٤-٢-١٩٧٦م.

واعتبر الصدر الوثيقة الدستورية مدخلاً للسلم النهائي في لبنان وأرضية للوفاق الوطني، ورأى أنّ أي تعديل لهذه الوثيقة يجب أن يمر عبر الطرق الديمقراطية

www.liilas.com/vb3 RAYAT ALEZZ

والحوار الهادئ بالمستقبل، وعلى هذا الأساس استمر بتأييد الوساطة السوريه "الرامية الى إنهاء الحرب وإجراء مصالحة وطنية" شاجباً بشدّة استئناف القتال وتوسيع رقعته في حرب الجبل.

* وعلى الصعيد العملي عارض الإمام الصدر بشدّة أعمال الجبهتين المتحاربتين في لبنان في إنشائهما إدارات محلية تابعة لهما بديلة عن الإدارات الرسمية، واعتبر أنّ ذلك يؤدي الى تقسيم الوطن ، وعلى مستوى آخر أدرك الصدر أنّ إنهاء الحرب في لبنان يتطلب قراراً عربياً مشتركاً يسبقه وفاق عربي، فانتقل الى دمشق بتاريخ ٢٣-٨-١٩٧٦، ومنها الى القاهرة في ٢-٩-١٩٧٦ محاولاً تنقية الأجواء بين البلدين وتوحيد مواقفهما من الحرب الداخلية من أجل إنهائها، وقد استمرت مساعيه حتى ١٣-١٠-١٩٧٦ تنقل خلالها بين البلدين، وبين السعودية والكويت، واتصل برئيس الجمهورية اللبنانية وبالمقاومة الفلسطينية ساعياً مع الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب لتحقيق تضامن عربي، وقد أثمرت هذه المساعي مع مساعي بعض المسؤولين العرب وانتهت بانعقاد مؤتمر قمة الرياض في ١٦-١٠-١٩٧٦ وبعده مؤتمر القاهرة في ٢٥-١٢-١٩٧٦، حيث تقرّر فيهما إنهاء الحرب اللبنانية، وفُرض ذلك بدخول قوات الردع العربية ، وتؤكد الحقائق التاريخية أن قوات الردع لم تستطع الدخول الى الجنوب، ولم تتمكن السلطة اللبنانية من فرض سلطتها هناك، فانتقل إليها صراع الفئات والقوى التي كانت تتصارع على الأراضي اللبنانية، واشتدت محنة الجنوب، فبات مسرحاً لأحداث خطيرة تهدّد مصيره، وكان الصدر يتابع مساعيه مع المسؤولين والقيادات في لبنان ورؤساء بعض الدول العربية ويرفع صوته في الخطابات والمقابلات الصحفية (ابتداءً من أواخر سنة ١٩٧٦ وصولاً الى مطلع العام ١٩٧٨) محذّراً من كارثة على جنوب لبنان ومن خطر تعريضه للاحتلال الإسرائيلي ومؤامرة التوطين. وبالفعل تم الاجتياح الإسرائيلي في ١٤-٣-١٩٧٨ ، وبعد استقرار الاحتلال في الشريط الحدودي من الجنوب، وفي محاولة منه لإنقاذ الوطن وإعلاء قيمة الحوار سبيلاً لهذا الإنقاذ قام الصدر بجولة جديدة على الدول العربية ليعرض خلالها على الملوك والرؤساء العرب واقع الأوضاع في منطقة الجنوب

مطالباً بعدم جعلها ساحة للخلافات العربية، وبعقد قمة عربية محدودة تعالج قضية الجنوب وتعمل على إنقاذه. وبعد أن زار لهذه الغاية سوريه والأردن والسعودية والجزائر، انتقل الى ليبيا في ٢٥-٨-١٩٧٨ م ، وهناك اختفى واختفت معه قيمة (الحوار) لأن القوة والسلاح كانا حاضرين وكانا أقوى وأكثر بشاعة مما كرس له الرجل حياته ورهنها به.

***

هذه الركائز الثلاث لمشروع (موسى الصدر) الفكرى / السياسى ، كان يواكب حركاتها الميدانية وبانتظام ، إسهام فكرى رفيع ، فالرجل لم يتوقف منذ كان فى إيران عن الانتاج الثقافى والفقهى ، فأسس فى العام ١٩٥٨ مجلة (مكتب إسلام) التى أحدثت زلزالاً فكرياً يومها ؛ فلقد كانت المجلة الثقافية الأولى التى تصدر عن الحوزة العلمية فى مدينة قم وكان لها الأثر المميز فى تشكيل الوعى النهضوى فى إيران ، وبعد هذه المرحلة وضع العديد من المؤلفات التى هى الآن بمثابة مراجع فكرية هامة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر [المذهب الاقتصادي في الإسلام - أبجدية الحوار - دراسات للحياة - حوار تصادمي - أحاديث السحر - الإسلام وكرامة الإنسان - الدين وحركات التحرر - الإسلام ومشكلة الطبقية - الإسلام وثقافة القرن العشرين - منبر ومحراب - الإسلام عقيدة راسخة ومنهاج حياة - الإسلام والتربية الدينية (الدين والحياة) - الاسلام خيارنا لتغيير الواقع المتخلف] .

كذلك كتب الصدر مقدّمات طويلة ومهمة للمؤلفات التالية:

- تاريخ الفلسفة الإسلامية (للبروفسور الفرنسي هنري كوربان).
- شرح حديث الغدير (لآية الله السيد مرتضى خسروشاهي).
- فاطمة الزهراء "رضى الله عنها " (للأديب سليمان كتّاني الذي نال جائزة أفضل كتاب حول الزهراء)، وقد عرض الإمام في المقدمة بحثاً شائقاً حول شخصية الزهراء تناول فيه مكانة المرأة في الإسلام والمساوة في الحقوق بين المرأة والرجل،وحقّق فيه الأحاديث والروايات التي وردت بشأن تقبيح المرأة،كما تناول فلسفة الحجاب في الإسلام.

- القرآن والعلوم الطبيعية (للكاتب المهندس يوسف مروّة) ، هذا فضلاً عن مئات المحاضرات فى الجامعات والمعاهد والمراكز الدينية والثقافية.

• • •

تلك هى أبرز ملامح مشروع السيد موسى الصدر ، ذلك العقل الكبير الذى حلم بوطن أكثر (حرية) وعدلاً ، وبمواطنة تقوم على (الحوار) والقبول والتسامح ، يلفهما معاً سياج صلب من (مقاومة) تحمى الأرض بمن عليها وتردع من يفكر فى محو ذاكرتها .. ان (الصدر) كان ولايزال الغائب / الحاضر ، فى مشروع التحرير الذى قاده حزب الله ، ولم تكن أبداً مزايدة سياسية أو دينية ، أن يعلن السيد حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله) ، وفى كل مناسبة تتصل بالرجل ، أنه كان دائماً هو (المرجع الأكبر لهذا التحرير) ، وهو (النموذج) الذى احتذاه حزب الله فى مشروعه السياسى والجهادى ، والذى كانت ثمرته ، تحرير الجنوب من ربقة الاحتلال الإسرائيلى بعد ٢٢ عاماً من الاحتلال فى ٢٠٠٠/٥/٢٥ .

• من هنا وبعيداً عن موضوع هذه الدراسة تأتى أهمية معرفة مصير هذا الرجل ؛ فمثله لا يمكن الاستمرار فى التجهيل به أو تغييبه .. وهو الغياب الذى حدث أكثر من ربع القرن ، والمثير للانتباه ان تغييبه قد تم يوم ١٩٧٨/٨/٢٩ أى بعد خمسة أشهر وعدة أيام من الاجتياح .. فهل كانت مصادفة ان سيد المقاومة : السيد الصدر .. الداعى الى الحرية والحوار ، يتم تغييبه فى هذا التوقيت ، وفى تلك الظروف وبهذه الطريقة أم أن فى الأمر سراً كبيراً آن الأوان لكشفه سراً لم تكن فقط (طرابلس الغرب) هى حافظته الوحيدة بل ربما كانت تل أبيب وواشنطن على علم به ؟ أسئلة قد يجيب عنها المستقبل .

الفصل الثالث

السيد في عيون معاصريه

(شهادات وحوارات عن السيد حسن نصر الله)

نقدم هنا ثلاثة أعمال هامة تكمل الصورة الرئيسية المستوحاة عن سيد المقاومة ، كيف يفكر وماذا يعمل ، وكيف يدير صراعه أو تحالفاته مع القوى اللبنانية الرئيسية؟! والأعمال التى نقدمها هى :

١ – شهادة طلال سلمان الكاتب الصحفى البارز ورئيس تحرير صحيفة " السفير " والتى عنونها بـ (سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة – حزب الله – حسن نصر الله) .

٢ – الحوار الشامل والحديث نسبياً (٢٠٠٦) الذى أجراه غسان شربل رئيس تحرير الحياة اللندنية .

وهى شهادات وحوارات تقدم مجتمعة وعبر فتراتها التاريخية المتباعدة والمهمة ، صورة كاملة عن هذا السيد المقاوم:أفكاره وسياساته،مواقفه وأحلامه،فماذا عنها ؟ .

١ - سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة - حزب الله - حسن نصر الله

للكاتب الكبير رئيس تحرير صحيفة السفير اللبنانية: طلال سلمان

والى أين يأخذ الحزب ''الأكبر من طائفته والسلطة والكيان''؟

قبيل الساعة الحادية عشرة من ظهيرة الاثنين ٢٧ حزيران (يونيو) ٢٠٠٠ كان العماد إميل لحود، رئيس الجمهورية اللبنانية،يغادر مكتبه متعجلاً الى بهو المدخل العريض، برخامه الأبيض البارد، ليستقبل بعناق حار الضيف الكبير الذي يجيئه في مقره الرسمي للمرة الأولى: الأمين العام لحزب الله، قائد المقاومة، السيد حسن نصر الله.

كان الحدث استثنائياً بكل المعايير، فلا" الضيف" تعوّد أن يزور رئيساً في مقره، ولا القصر اعتاد أن يشهد "زيارة" لمثل هذا" الرجل الخطير"، والذي تعتبره "إسرائيل"

www.liilas.com
RAYAH-TEAM

عدوها الأول. ولذا، فقد شكّل اللقاء النادر بين "الحاكم" و"الثائر" القادم مكلّلاً بالنصر، خبراً عالمياً طيّرته وكالات الأنباء مصوّراً الى أربع رياح الأرض.

المسافة بين الضاحية الجنوبية لبيروت والقصر الجمهوري في "بعبدا" لا تزيد على أربعة كيلومترات، لكنها بالمعنى النفسي شائعة، ولطالما وسّعها العداء، في الماضي، مع نظام سياسي مدموغ بالفئوية ومجافاة مطالب الأكثرية من شعبه، والانحياز الى الغرب ومشاريعه الخاصة بالهيمنة على المنطقة العربية وعلى امتداد دهر الحرب الأهلية، فلقد سادت بين القصر والضاحية - نتيجة لهذا الواقع - لغة المدفع: النظام يحاول قهر معارضيه الذين تلاقوا تحت شعار الغبن والحرمان وتوكيد عروبة لبنان بالدفاع عن المقاومة الفلسطينية فيه، وقوى الاعتراض تتجمع تحت راية التغيير وتلتفت تطلب من العرب أن ينصروها فلا تلقى منهم استجابة أو تفهماً.

إذاً، فلقد دارت الأرض دورة كاملة، وها هو المحروم الثائر والمقاوم لاحقاً ضيف على رمز النظام المعدّل والمبدّل والمجدّد في "اتفاق الطائف" (خريف ١٩٨٩)، ثم بالتعديلات أو الإصلاحات الدستورية الذي أدخلها عليه إسقاط "التمرد" في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من اجتياح صدام حسين الكويت، حين ظهرت في سماء بيروت - ولأول مرة - طائرة حربية سوريه تولت قصف القصر الجمهوري ليخرج منه العماد ميشال عون لاجئاً الى السفارة الفرنسية، ثم الى فرنسا ذاتها من بعد.. (وكان رئيس الجمهورية المنتهية ولايته في ٢٣ أيلول / سبتمبر) من العام ١٩٨٨ أمين الجميل قد أولاه السلطة، بعدما عطل الانتخابات الرئاسية طمعاً بتجديد لم يتم، ثم عطّلها ميشال عون بعده طمعاً بانتخابه هو فلما تعذر ذلك عصى في القصر رافعاً شعار "حرب التحرير" ضد "الاحتلال السوري" بعدما رفضت دمشق تبنّيه رئيساً للجمهورية.

ربما لهذا كله قررت، حين التقيت السيد حسن نصر الله في موعدنا من مساء ذلك الاثنين، أن أبدأ من النهاية، فأرجأت الأسئلة عن النصر، عن التحرير والمقاومة

وإجلاء قوات الاحتلال الإسرائيلي، لأسأل عن شعوره وهو يدخل القصر الجمهوري لأول مرة:

-لا بد أنّ مشاعر متناقضة تفاعلت في نفسك اليوم وأنت تدخل هذا المقر الذي طالما كان "هدفاً معادياً". هذا القصر الذي كانت "ثقافتك السياسية" تحرّضك على "استعادته من غاصبيه" وإعادته الى أصحابه الشرعيين، الشعب. فأنت العائد منتصراً من ميدان المواجهة مع العدو لم تدخل القصر فاتحاً، ولا تبقى فيه لتأخذ السلطة من موقع المحرّر، بل هي زيارة للشرعية تؤكد انضواءك تحت لوائها. فأنت الثائر في الخارج تجيء لتؤكد إقرارك بالسلطة القائمة، ولو من موقع الحليف.. ألم يشعرك هذا الدخول بشيء من التناقض؟ ألم تلفتك المفارقة فيه،أنت الذي هربت من فقرك في الجنوب، الى ضاحية بؤس طابعها أرمني في شرقي بيروت (كمب شرشبوك).. هل شعرت بأنك إنما تدخل بيت السلطة، وكأنه "بيت الطاعة"؟! هل كنت تخرج من الثورة لتدخل السلطة، أنت رمز الكفاح المسلّح والعمل الاستشهادي؟ هل أحسست للحظة بأنك أجدر بأن تكون في القصر من شاغليه؟

لم يباغت السؤال "السيد"، البسيط الملامح، البسيط التعابير، على إفاضة، المدرَّب على الكلام كرجل دين قبل أن ترفعه التجارب القاسية ومعايشة الموت الى مرتبة القائد السياسي. كان، كعادته، جاهزاً، مستعداً للصعب والأصعب، للمحرج والمثير والحساس من الأسئلة. قال كمن حضّر جوابه سلفاً لمثل هذا السؤال:

-أبداً. لم يرتبط عندي التحرير بالسلطة في أي لحظة. لعلنا ونحن نعيش في ظل الشهادة قد أسقطنا من اعتبارنا النتائج المباشرة لعملنا على السلطة، أو أننا لم نربط بين الأمرين. لقد أدينا واجبنا كمقاومة، وكتب الله لنا النصر، وكان موقف الدولة – بشخص رئيسها على وجه الخصوص – داعماً ومسانداً وحامياً لظهرنا، وهو موقف اتخذه العماد إميل لحود قبل الرئاسة، ومنذ أن كان قائداً للجيش. لم نكن طلاب سلطة، ولم

يرتبط واجب المقاومة من أجل التحرير بأخذ الحكم ، كان يكفينا من السلطة ألا تكون معادية.

-لكن هذا الوضع غير مألوف وصعب تقبّله إنسانياً. كل منتصر ربط بين جدارته بالنصر وبين حقه في السلطة، كلها إن أمكن أو بعضها، حتى يتيسر له استخلاصها من الحلفاء جميعاً. ثم إنكم حققتم نصراً شبه مستحيل، فإجبار "إسرائيل" على الإنسحاب لم يكن عملاً عادياً، ناهيك بأنّ حزباً ناضل طوال هذه السنين، وقدّم قوافل الشهداء بالمئات، وتحمّل المشاقّ والتضحيات الجسام (والغدر أحياناً) وتجاوز كل تلك المصاعب والمناورات والمؤامرات، في الداخل والخارج، من حقه أن يفكر – لحظة الإنجاز – بالسلطة، حقه فيها، أو أقلّه دوره حتى لا نقول حصته منها، ولو من أجل حماية نفسه وإنجازه.

لم يرفّ للسيد حسن نصر الله جفن، وكان واضحاً أنّ الحزب قد بتّ هذا الأمر منذ زمن طويل، ففصل بين جهد المقاومة وبين الحق في السلطة، وأراح نفسه وأراح الآخرين، فأسقط من أذهانهم أنه مشروع انقلابي، وأنه ما إن يبلغ آخر الأرض المحتلة في الجنوب محرّراً حتى يرتد الى بيروت فيأخذ السلطة بسلاحه وقد اكتسب بالنصر شرعية مطلقة.

كيف استطاع حزب الله أن يروّض نفسه على مثل هذا الفصل بين النصر العسكري (بالمقاومة) واستثماره سياسياً في القفز الى السلطة؟

ذلك واحد من الأسئلة الكبرى التي لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بالتوغل داخل هذه المؤسسة العقائدية – السياسية – العسكرية، ذات التسمية القرآنية الوهج، وذات السيرة المعقدة بعلاقاتها الملتبسة مع القوى الأخرى، دولاً ومنظمات وأحزاباً وتيارات، بدءاً بالدولة في لبنان مروراً بسورية وانتهاءً بجمهورية الثورة الإسلامية في إيران، قبل أن ننتقل الى معسكر الخصوم والأعداء الذين طاردوه، وما زالوا يطاردونه، بتهمة الإرهاب.

قبل ذلك بأيام، أي السبت في ٢٧ (أيار – مايو)، كان السيد حسن نصر الله قد ذهب الى الجنوب المحرر، والى بنت جبيل على وجه التحديد، إحدى حواضر جبل عامل، ووقف أمام حشد بشري هائل يعلن أنّ حزب الله لم يحقق النصر وحده، معدداً الشركاء ممن سبقوه أو واكبوه أو حاولوا اللحاق به، من أحزاب قومية وتقدمية، كالبعث والشيوعيين والقوميين السوريين، ثم حركة أمل التي كانت رحم حزب الله، كما يقول رئيسها رئيس المجلس النيابي نبيه بري.

اعترف بالجميع، وسلّم بحق الجميع، أفراداً وهيئات ومنظمات. وكان إعلانه في وجهه الآخر يعكس تسليم هؤلاء جميعاً بدوره القيادي في المقاومة والتحرير، وما قد ينجم عنه.

ثم إنه أعلن بالصوت الحي: لسنا بديلاً من الدولة، ولا نطمح الى إقامة دولتنا الخاصة، والأمن سيبقى مسؤولية الدولة ولن يكون مسؤوليتنا مطلقاً، فنحن مقاومة لا سلطة، والدولة مدعوة الى أن تقوم بواجبها بعدما تم تحرير معظم الأرض وتم إجلاء المحتل.. وسنبقى في المقاومة حتى تتم استعادة مزارع شبعا، وإطلاق المعتقلين من السجون الإسرائيلية، ويستعيد لبنان مياهه المسروقة الخ..

الأهم أنه نادى الفلسطينيين، وكان بعضهم يسمعه مباشرة، عبر الحد الفاصل، وأكثريتهم تسمعه عبر الإذاعات والفضائيات العربية.. وكان النداء حاراً، ملحاحاً، وفيه رنّة أسى، لأنّ "السيد" لم يكن – بحكم التجربة الطويلة – واثقاً من الإستجابة لندائه، ليس بسبب عدم الرغبة أو عدم الإيمان بالحاجة الى تجديد المقاومة أو الانتفاضة داخل فلسطين، ولكن بسبب عدم القدرة.

وفي الحوار معنا، وبعد إلحاحنا على محاولة تصور دور حزب الله مستقبلاً، وهو المحاصر والمحصور في بيئة طائفية محددة(الشيعة في لبنان)، بما يحدّ من إمكان تأثيره أو إشعاعه التغييري في المنطقة من حوله، بدءاً بلبنان ذاته، سمعنا كلاماً جديداً من السيد حسن.. قال:

" -علينا الاعتراف أنّ حزبنا أكبر من الطائفة التي ينتمي إليها مناصروه، وأكبر من أي طائفة بل هو أكبر من أي كيان سياسي قائم. إننا مشروع قومي، لا تنتهي أهدافنا عند حدود لبنان مع فلسطين. ولا ينسجم مع طموحنا وبنائنا الفكري وحجمنا ووهجنا والالتفاف الشعبي العظيم حولنا، أن نهجر السلاح غداً لنأخذ منصباً وزارياً، أو لتزيد حصتنا من النواب في البرلمان اللبناني، وأن ننحصر ونحاصر في إطار اللعبة السياسية المحلية".

في السابق، كنا نسمع تلميحات سريعة الى هذا المعنى.. بل إننا سجلنا تحولات ظاهرة في الخطاب السياسي لحزب الله، كانت تشير الى اقترابه أكثر فأكثر من الموقع القومي العربي، بغير أن يغادر مرتكزات فكره الإسلامي. وفي حالات كثيرة ومواقف عديدة في مواجهة الانتكاسات والانحرافات في السياسات العربية، كان خطاب الحزب يصدر عن موقف قومي تماماً حتى وإن تمّت صياغته بمفردات يطغى عليها العبق الديني.

-الطموح أبعد من القصر الجمهوري في بعبدا إذاً؟

-يعترض: ليس هو الطموح. بل : الفكر، العقيدة، الرسالة.

في شباط (فبراير) الماضي، طلب إليّ رئيس تحرير "الأهرام" الزميل إبراهيم نافع أن أساعد على ترتيب لقاء لحوار صحفي مع السيد حسن نصر الله.

كانت تلك أول مرة تطلب فيها صحيفة مصرية (قومية) أن تجري لقاء مع قيادة حزب الله.

ولأنها المرة الأولى، فقد ساد جو من "الغربة"، أو لنقل "عدم المعرفة"، الدقائق الأولى من هذا اللقاء، الذي تأخر كثيراً عن موعده، أكدته أو دللت عليه أسئلة "طريفة" وجّهها بعض الزملاء من "الأهرام" و"مركز الدراسات" فيها الى "السيد"، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: سؤال عن سر" التسمية" وهل هي تعني أنّ الحزب يحتكر الله (سبحانه وتعالى)؟، والثاني عن "التقية" في التراث الشيعي وموقعها من مسلك الحزب

ومن شعاراته، وهل هو يداري بها أهدافه الحقيقية أم لا..؟ ناهيك بأسئلة كثيرة عن إيران كادت تصور الحزب إيرانياً في منطلقاته وأهدافه، حتى وإن كانت لغته عربية.

أما السؤال المباشر فكان: كيف تستطيع إقناع شاب بأن يذهب بعينين مفتوحتين الى الموت؟! ما هذه المقدرة الهائلة لديكم على تجنيد الشباب وإذكاء روح الاستشهاد فيهم فيندفعون إليه وهم في شرخ شبابهم، تاركين الحياة ومباهجها الكثيرة؟

وبعدما نفى السيد حسن نصر الله أن يكونوا قد "احتكروا" الله عندما اتخذوا لحزبهم تسمية قرآنية: {ومَن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون}(سورة المائدة: ٥٦)، وشرح "التقية" بأنها ضرورة فرضتها ظروف القهر السياسي في فترات تاريخية معيّنة، وكان الشيعة المضطهدون يلجأون إليها لمنع الفتنة والشقاق والصدام المكلف بالحكم الظالم.. أما عن الإستشهاديين فقال السيد حسن ما مؤداه: الحمد لله أنّ بين شبابنا مَن بقي على إيمانه بالله وجنّته واليوم الآخر، فلولا هذا الإيمان لما أمكن تجنيد أحد لمواجهة أقوى جيش في المنطقة، إنّ هؤلاء المصدّقين بالله والجنة واليوم الآخر يأتوننا من كل فج عميق، ويندفعون بل يتنافسون. لولا ذلك لما أمكن لهذه المقاومة أن تنشأ وأن تستمر وأن تتعاظم مقتربة من النصر بإذن الله.

بعد ذلك بأيام، كانت الضربة الإسرائيلية الرابعة، الخامسة، السادسة، للبنية التحتية في لبنان، والكهرباء تحديداً.. ولأول مرة، جاء رد الفعل العربي قوياً وفيه شيء من الموقف:

بداية جاء رئيس مصر، محمد حسني مبارك، يوم السبت ٢٠ شباط (فبراير) ٢٠٠٠ في زيارة تضامن خاطفة إلى بيروت، لم تكن فقط الأولى من نوعها، بل - وهذا هو الأهم - أنها كانت تمثّل كسراً للطوق المضروب حول لبنان والذي تبدّى في لحظات وكأنه عقوبة موجهة ضده مقاوماً، أو تكريس لنظرية أنّ حزب الله يتحرش بـ"إسرائيل" تنفيذاً لسياسة إيرانية لعرقلة العملية السلمية، وأنه لم يعد للمقاومة من

مبرر طالما أنّ "إيهود باراك" قد أعلن وكرر الإعلان عن التزامه تعهده الإنتخابي بالإنسحاب من لبنان قبل ٧ تموز (يوليو) ٢٠٠٠.

بعد الرئيس مبارك توافد الزوار الرسميون العرب على بيروت متضامنين، وكان أبرزهم ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز الذي وصلها مختتماً بها جولة شملت القاهرة ودمشق، لجمع الصف، أو ما تيسر منه تضامناً.. ولعله تقصّد أن يطلق، قبل وصوله، تصريحاً يعلن فيه الوقوف الكامل مع" مقاومتنا" في لبنان، ثم أن يلتقي في مقر إقامته الرسمي ببيروت نواب "كتلة الوفاء للمقاومة"، أي ممثلي حزب الله في البرلمان اللبناني، في سابقة تسجل تحولاً مهماً في السياسة العربية تجاه الحزب.

ثم كان أن انتقلت جامعة الدول العربية الى بيروت لتعقد مجلسها الوزاري، الذي شارك فيه – وفي تظاهرة نادرة – وزراء الخارجية العرب جميعاً. توكيداً للتضامن السياسي الإجماعي مع لبنان المقاوم، دولة وشعباً، وإن كانت التحية قد توجهت أساساً الى حزب الله وقيادته التي لم يسعَ الى لقائها أحد من المتضامنين، ولا هي طلبت أو سعت لأن تحرج أحداً منهم بطلب اللقاء.

بعد التحرير بثلاثة أسابيع، وتحديداً في ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠٠٠، دوّى العالم بسابقة جديدة حققها حزب الله، أو تحققت له ومعه نتيجة ظروف موضوعية، إذ قصد الأمين العام للأمم المتحدة "كوفي أنان" مقر الأمانة العامة لحزب الله في الضاحية الجنوبية من بيروت ليلتقي الرجل، الذي صار اسمه أغنية تطلق طوال ساعات النهار في مسامع الجنود الإسرائيليين عند "معبر فاطمة" على الشريط الحاجز بين لبنان وفلسطين المحتلة: حسن نصر الله.

كان اللقاء فريداً في بابه، فلم يسبق لممثل هذا الموظف الأممي الكبير أن جاء للقاء قائد لجيش التحرير في بلد ما، أو قائد للمقاومة ضد الاحتلال.. كما لم يسبق للسيد حسن نصر الله أن أعدّ نفسه للقاء من هذه الطبيعة الأممية، "فالأممية" التي ينادي بها، بحكم

عقيدته الإسلامية، لها وجهة أخرى لا تتصل بنيويورك حيث المؤسسة الدولية، ولا بواشنطن حيث القرار الدولي.

وحده المنظر الفريد الذي بلغ ذروة تجلياته عند الشريط – الحاجز يوم الاثنين في الثالث والعشرين من أيار (مايو) ٢٠٠٠، حين وصل مجاهدو حزب الله الى الحد، في مواجهة الجنود الإسرائيليين، قد يفسر أو قد يوحي باستنتاج منطقي مقبول.

لقد انكفأ جنود الاحتلال، بسرعة قياسية، سبقت الموعد المعلن للانسحاب بستة أسابيع، وسبقت الموعد المقدّر بأسبوع على الأقل، بغير أن ينذروا الميليشيات التي أنشأوها ودربوها ورعوها وسلّحوها وموّلوها على إمتداد عقدين من الزمان تحت اسم "جيش لبنان الجنوبي"، فكان أن انهار هذا "اللفيف" المركب لحماية الظهر، فسبق حماته الى الأرض الفلسطينية المحتلة مخلّفاً وراءه كل ما كانوا زودوه به من العتاد والسلاح، وهو يكفي – وكان بالفعل يكفي – "جيشاً" من حوالى ثلاثة آلاف مقاتل".

انهارت الجبهة الإسرائيلية داخل الأرض اللبنانية المحتلة، وتفكك "جيش لحد"، فهرب قادته وجنده والمتعاونون معه، بأسرهم في الغالب الأعم، لاحقين بالقوات الإسرائيلية المنسحبة، وبأسرع من سرعتها، وبقيت الأسلحة في المواقع المهجورة، والذخائر، بل الوثائق والمرتبات أيضاً..

كانت مفاجأة للجميع، بما في ذلك حزب الله، الذي مع توقعه أن يتم الانسحاب قبل الموعد المعلن الرسمي، فإنه كان يفترض توقيتاً آخر، وإن كانت طلائعه المتقدمة قد تحركت فوراً متقدمة الى المواقع التي أخذت تُخلى تباعاً، وفي أكثر من موقع فوجئت بأنّ الجنود الإسرائيليين أو المتعاونين والمتعاملين ما زالوا فيه، فتصرف كل طرف حسب مقتضى الحال، وإن كان قرار الحزب واضحاً: أن يتم خروجهم تحت نيران المقاومة، وليس في صمت يفرضه "عدم المشاغبة" على الانسحاب.

المهم أنه وفي غضون ساعات كان مجاهدو الحزب يقفون بسلاحهم في مواجهة جنود العدو، لا تفصلهم عنه سوى أمتار قليلة وحاجز من الأسلاك الشائكة التي يسهل خرقها

بمنطق الصراع العربي – الإسرائيلي المفتوح، والـذي يصـعب إقفالـه بالإتفاقـات المنفردة، أو بقوات فك الإشتباك.

المنظر فريد، لأنّ هذا المجاهد الذي طالما تحمّل المشاقّ، وسهر الليالي، وقطع حقـول الألغام، وكمن حتى لا تكشفه الطائرة ولا يتصيده موقع المراقبة القريب، لكي يصل الى مدى الرصاص من هذا الجندي فيرديه، وصل الى حيث يراه بالعين المجردة، وحيـث لا يحتاج قتله الى تسديد، فلا هو أطلق عليه النار، ولا الجندي الإسرائيلي الذي طالما هده الذعر من كمائن مجاهدي حزب الله، أو من هجماتهم على رفاقه وهم في مخابئهم وفي مكامنهم شديدة التحصين، عاجله فسبقه الى إطلاق النار ليقتله قبل أن يقتله.

مجاهد حزب الله علَمه الأصفر في يساره، وسلاحه في يمينه، مقابل الجندي الإسرائيلي تحت علَمه ذي الخطين الأزرقين والنجمة المسدسة، وسلاحه في يمينه، ولا رصاص، بل جماهير دهمها الفرح بالتحرير أخيراً فزحفت خلف المجاهدين حتى الحـد، ولمـا بلغته ورأت جنود الإحتلال الخارجين لتوّهم من أرضها، لم تجد إلاّ الحجارة ترشـقهم بها، واللعنات والعيون المستعرة بخليط من الغضب وزهو الإنتصار.

كان القرار الدولي يكاد يظهر للعيون هنا، بضبط الطرفين اللـذين تواجهـا بالسـلاح سنوات طويلة، فلا يخرقه أحدهما، ولا يحتاج أيهما الى تبرير لموقفه "الغريب" والهدوء السحري الذي هبط عليه فجأة فجعله لا يتجاوز حده.. الملتبس بعد!

لعل رحلة حسن نصر الله من قريته البازورية في قضاء الزهراني في الجنوب، الـى الأمانة العامة لحزب الله، وموقع القائد الفعلي للمقاومة تلخص سـيرة هـذا التنظـيم السياسي العسكري، شديد الالتزام والانضباط، والذي ندر أن شهدت المنطقة العربية له مثيلاً في تاريخها الحديث.

مثل آلاف الالاف من أبناء الجنوب المحروم، كما مناطق أخرى كثيرة في لبنان، بينها البقاع بمجمله، ومنطقة بعلبك – الهرمل خاصة، والشمال بمجملـه، ومنطقـة عكـار خاصة، كانت هجرة القرى التي لا دخل فيها ولا فرص عمل، ولا تعطي الزراعة فيها

ما يكفي لسد الرمق، الى بيروت – المركز المزدهر في الستينات – هي الوسيلة الفضلى لمحاولة تحسين مستوى الحياة: العثور على عمل ما، تأمين المدرسة للأبناء والبنات، تأمين فرصة محتملة للاستشفاء، مع احتمال توفر الفرص لإكمال الأولاد دراساتهم الجامعية ولو بتضحيات جسيمة.

وكان حظ أسرة حسن نصر الله، مثل آلاف الأسَر الجنوبية والبعلبكية، أن تستقر في بعض ضواحي شرقي بيروت، وتحديداً في بعض أحياء الأرمن الذين جاءوا مهجرين من بلادهم بعد مذابح ارتكبها الأتراك قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى، فحظوا برعاية الدولة التي كانت قد جاءت منتدبة على لبنان وسوريه، بعد تلك الحرب، فرنسا، وهكذا بُنيت لهم مجمعات سكنية، على أراضي الأوقاف أو الأملاك العامة، ومُنحوا الجنسية اللبنانية، لأهداف سياسية، تتصل بالتوازن الطائفي الحساس في لبنان، فعاشوا فيه كمواطنين ولكن ضمن غيتواتهم الخاصة.

وعندما تفجرت الحرب الأهلية في لبنان في ربيع العام ١٩٧٥، كان من أوائل نتائجها الفرز الطائفي.. وهكذا كان مقدّراً على سكان الضواحي الشرقية لبيروت من "المسلمين" وأكثريتهم الساحقة شيعية أن يلقوا مصير الفلسطينيين الذين كانت لهم بضعة مخيمات هناك أشهرها وأكبرها تل الزعتر، ومعه – ليس بعيداً عنها – مخيم جسر الباشا، وآخر قليل الأهمية في الطرف الأقصى لضواحي بيروت الشرقية: " مخيم ضبية الصغير " شبه المفرغ من لاجئيه الأصليين، من الفلسطينيين المسيحيين بوجه الإجمال.

بعد سنة ونصف تقريباً من الاقتتال كان على اللاجئين الفلسطينيين، المقاومين والمسلحين الآن، أن يجلوا عن تل الزعتر وما جاوره، نتيجة لحصار قاس جعل حياتهم مستحيلة.

وتم "الإجلاء" وسط ظروف مهينة ومجازر بشعة..

وكان طبيعياً أن يهجّر، مع الفلسطينيين مجاميع بمئات الآلاف من فقراء الشيعة الذين كانوا قد استملكوا بعض الأراضي فأقاموا بيوتاً صغيرة، أو استأجروا بيوتاً ضيقة في أحياء بلا خدمات لتؤويهم وهم يحاولون أن يواصلوا حياتهم ويؤمنوا لأبنائهم مستقبلاً أفضل.

وكانت أسرة حسن نصر الله، الذي كان أبوه قد أقام دكاناً في "كمب شرشبوك" بين المهجرين.

حتى انفجار الحرب الأهلية في لبنان، في نيسان (أبريل) ١٩٧٥، كان الشيعة، ولأسباب اقتصادية واجتماعية ومن ثَم سياسية، يشكّلون الخزان البشري للأحزاب الوطنية والقومية والتقدمية كافة. ثم إنهم كانوا يشكّلون القاعدة العريضة للجمهور المؤيد للمقاومة الفلسطينية عند انتقال كتلتها العظمى الى لبنان بعد أيلول الأسود في الأردن، وغياب سندها وحاميها القومي جمال عبد الناصر.

وبمعزل عن هوية القيادات فإنّ القاعدة العريضة للأحزاب التي تماهت مع المقاومة الفلسطينية، كانت شيعية.. خصوصاً عندما استقر "الفدائيون" على مقربة من الحدود مع فلسطين، وهي بمجملها ذات أكثرية شيعية ساحقة.

على أنّ تراجع الشعار القومي، بعد انتكاسة حرب ١٩٧٣ (العبور)، وبعد صدام البعثيين في سوريه والعراق، وبعد خروج مصر من حومة العمل العربي، بعد فك الاشتباك، ومن ثم التحول الخطير الذي برّر "زيارة السادات" لـ"إسرائيل"، وصولاً الى معاهدة "كمب ديفيد"، كل ذلك قد عكس نفسه بحدة على الساحة اللبنانية التي كانت – بعاصمتها بيروت – أشبه بالشارع الوطني العربي، والمنتدى الفكري، وأرض التلاقي والصراع والتنافس بين الأفكار والعقائد وأجهزة المخابرات والدول والمصالح المختلفة.

مع تراجع الشعار القومي، انفرطت القوى والأحزاب السياسية في لبنان، أو هي تاهت عن طريقها، خصوصاً وقد باتت موضع تجاذب شديد بين الأنظمة العربية، ثم بينها وبين المقاومة الفلسطينية، حين جاء وقت التصادم، ثم مع تعاظم الموجة الطائفية التي

www.liilas.com/vb3 RAYAH EEN

فجّرت الحرب الأهلية، ثم تغذّت بها، عاد كثير من المناضلين الى طوائفهم، أو أنهم انكفأوا عن العمل السياسي برمته، وخصوصاً أنّ اللعبة غدت ذات طبيعة دولية لا يقدرون على التأثير فيها وإن كانوا لا يستطيعون تجنّب تأثيراتها.

وعادت تطفو على السطح شعارات ومقولات كانت الحماسة للمقاومة الفلسطينية التي أعمت عن رؤية مكامن الضعف في قيادتها، قد طمستها أو دفعتها الى الخلف.

برزت دعوة التقسيم، كمطلب مسيحي، في مواجهة ما افترض من أنّ المقاومة الفلسطينية هي "جيش المسلمين". وجاء التدخل السوري كمشروع حل عربي فواجهه التدخل العسكري الإسرائيلي باحتلال بعض الجنوب وإقامة "الجدار الطيب" والمباشرة بإقامة دويلة سعد حداد، وهو ضابط مسيحي في الجيش اللبناني استفزت وطنيته في مواجهة التحدي الفلسطيني، فانحاز الى "إسرائيل" طلباً لتحرير قراره الوطني!

تداخلت دعاوى حماية المقاومة الفلسطينية بمطلب التغيير في النظام الطائفي ذي الطابع الماروني في لبنان. وأدى التدخل السوري، قبل أن تشرعنه القمة ثم الجامعة العربية، الى التباسات إضافية صوّرت السوريين حلفاء للموارنة في لبنان، أعداء للفلسطينيين وللمطامح الإسلامية، على قاعدة بحث مذهبية.

كان الشيعة الذين اكتشفوا متأخرين أنهم غدوا أكثرية نسبية في لبنان، يبحثون عن موقعهم داخل النظام، بعدما لم يوصلهم النضال القومي والتقدمي إلاّ الى.. الشهادة.

وكانوا قد تعرّضوا لامتحان جدي حين عرضت عليهم المارونية السياسية مشروع حلف طائفي يواجه "الأكثرية السنّية" في المنطقة، من منطلق "أقلّوي" يلتقي - وإن لم يقصد - بالمشروع الصهيوني في فلسطين ، ودولة الأقلية القوية جداً القائمة هناك والمستعدة لأن ترعى وتحمي مشاريع دول أقلّوية في المنطقة وبرغم أنّ الشيعة لم يستجيبوا جدياً لهذا المشروع فإنهم شيئاً فشيئاً بدأوا يحسون بشيء من الاستبعاد، ولم يخف كثير من أهل النظام تخوفهم من العدد اللجب لهذه الطائفة التي لا تكفّ عن التوالد والتزايد في أبأس الظروف المعيشية، وأبأس حالات الاضطهاد السياسي.

وبرز موسى الصدر، الداعية المتميز ذو الشخصية الباهرة الحضور، نموذجاً لهذا الالتباس بين التمنّع عن التورط في الحلف الماروني – الشيعي، وبين الرغبة في التميز وإبراز الشخصية الشيعية، العربي الى حد الإنتساب الى الرسول وخاتم الأنبياء، والذي تخالط لغته لكنة إيرانية، لأنّ والديه المهاجرَين من صور كانا قد ارتحلا إلى إيران، حيث أمضى طفولته الأولى، والذي يتحدث بلهجة عراقية لأنه أمضى سنوات دراسته الطويلة في النجف الأشرف.

كان موسى الصدر ضد الحرب الأهلية، وحاول جهده منعها أو وقفها عند حد، لكن الظروف كانت أقوى منه، فحاول أن يشكّل لاجماً لاندفاعات المقاومة الفلسطينية للهيمنة على القرار السياسي اللبناني، أقله الوطني منه. ووصلت محاولاته التميّز ذروتها بقبوله إنشاء تنظيم سياسي شبه عسكري تحت اسم"أفواج المقاومة اللبنانية – أمل"، استعان لتدريب مقاتليه بمحترفين من "فتح"، وأمّن له السلاح من سوريه، من دون أن يجهر بخروجه على الدولة اللبنانية.

رفع الصدر شعار "السلاح زينة الرجال"، وحاول تنظيم طائفة المحرومين في حركة سياسية، وحرّض فقراء الناس على احتلال قصور الأغنياء ومقارّ الحكومة، ولكنه عندما وعى خطورة الحرب الأهلية حاول التصدي لها بالاعتصام والاعتراض والصدم، لكن الموجة كانت أعلى من كل هذه الاعتراضات، فتجاوزته، ولعلها كانت السبب في اختفائه، أو تغييبه، الذي تم بينما هو في زيارة لليبيا في أواخر آب (أغسطس) العام ١٩٧٨.

غاب الصدر وسرّه معه، ولم يُعرف ما إذا كان قد قصد بإنشاء "حركة المحرومين – أمل" أن تكون رديفاً أو بديلاً من المقاومة الفلسطينية.. لكن ما هو أكيد أنّ الكثير من الكادرات القيادية لحزب الله قد جاءت من" أمل"، وفي الطليعة منها السيد حسن نصر الله.

وقبل أن ننهي الحديث عن "السيد" الذي حاول النظام اللبناني إغراء الشيعة عبره، واستيعابها بإنشاء "المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى" الذي انتخبه، ضمن ظروف معلومة، أول رئيس له، لا بد من الإشارة الى أنه كان أول مَن ربط – على الأرض – بين الشيعة في الجنوب، وهم بشكل عام، أهل ثقافة وعلم وأدب وأهل دعة وليسوا صداميين، وبين الشيعة في البقاع، حيث لم يكن للنجف الأشرف وخريجيه، أي تأثير يذكر، وحيث يسود المنطق العشائري، وحيث العلاقة بالثقافة والعلم محدودة إضافة الى خشونة في الطباع بوجه الإجمال.

وهكذا، عندما نشأ حزب الله كانت المساحة النفسية واحدة من أقصى جرود الهرمل، على الحدود مع سوريه، الى أقصى هضاب جبل الشيخ، خلف جبل عامل، على الحدود مع فلسطين المحتلة.

لا بد من شيء من التاريخ، أو التذكير بما كاد ينسى من فصول الصراع العربي – الإسرائيلي..

لم يشاهد جيل المجاهدين في حزب الله اليوم ذلك المنظر الذي أدمى قلوب أمهاتهم وتحدى رجولة آبائهم: النزوح الكثيف للفلسطينيين عن أرضهم بأطفالهم، وصرر الثياب، ومؤونة الطريق، والهلع والخوف على العرض، والعجز عن الصمود، وافتقاد القيادة والسلاح والتنظيم الضروري للمقاومة.

لعل بعضهم قد سمع عن الأم التي أنساها خوفها واحداً من أطفالها، وعن الأب الذي فقد عقله بعدما فقد عائلته، وعن النساء الآتيات وقد أعماهن البكاء، وفي الصدر مفاتيح البيوت التي لن يعودوا إليها والتي سيأخذها بعدهم – مفروشة – أولئك المستقدمون من أربع جهات الدنيا، ليحققوا الخرافة التوراتية على أرض الميعاد.

لكن هذا الجيل شاهد، بأم العين، دبابات الاجتياح الإسرائيلي وقوافل جنوده تتقدم على الطرقات العامة التي تخترق المدن والقرى، في الهضاب الجبلية كما على الساحل تحت، بغير مقاومة، تنسف البيوت وتحرق الشجر والزرع وتقتل بغير رحمة.

ففي يوم الرابع من حزيران / يونيه ١٩٨٢، اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان، انطلاقاً من جنوبه، تحت غطاء قصف جوي ومدفعي كثيف، وظلت تتقدم حتى مدخل بيروت، فحاصرتها لأسابيع قبل أن تنجح "الوساطة الأميركية" في إقناع قيادة المقاومة الفلسطينية بالخروج مع مقاتليها من لبنان بضمانات لسلامتها، فكان أن اختارت الخروج بحراً الى اليونان، ومن هناك الى تونس التي أُقنعت "باستضافتها"، وكان الخيار عجيباً: إذ الطبيعي كان، ولكي تبقى قريبة من أرضها المحتلة، أن تنتقل براً الى دمشق، لكن مثل هذا القرار لم يكن مطروحاً، لأسباب عديدة لا يتسع المجال لشرحها هنا.

كانت المقاومة الفلسطينية في أسوأ حال على الإطلاق، يومذاك، بعد استنزاف مجهودها في مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية، وبعد صدامها السياسي مع سوريه، وتقلّب تحالفاتها السياسية، واندفاعاتها غير المدروسة من أجل فتح نافذة للحوار مع الأميركيين، ولو بترك الباب موارباً للتفاوض بشروط غير ملائمة مع الإسرائيليين الخ..

وكانت الكتلة العظمى لمقاتليها قد يئست من الكفاح المسلح، فانتقلت الى بيروت ومناطق أخرى من لبنان تمارس فيها "سلطة" فعلية، أما الكادرات المتقدمة فكان على القيادات أن تختلق لها المناصب الديبلوماسية والبعثات والوظائف الوهمية ذات المخصصات الفخمة لتسترضيها فتستبقيها فلا تذهب الى" المعارضة "والتشهير بالقيادة.

ربما لهذا كله، ولأسباب أخرى بينها التفوق الإسرائيلي الكاسح، لم تلقَ القوات الإسرائيلية الزاحفة براً على امتداد حوالى مئة كيلومتر، بين الحدود وبيروت، على امتداد الجنوب، مقاومة تذكر..

وبالنتيجة فقد أخرج الاجتياح الإسرائيلي المقاومة الفلسطينية من معظم أنحاء لبنان (عدا الشمال وبعلبك)، كما أخرج القوات السوريه إلاّ من بعض المناطق المحاذية

لحدودها في البقاع والشمال وبعض الجبل.. ثم لم يجد من يحاسبه على كل ما ارتكبه من مجازر أشهرها مجزرة صبرا وشاتيلا في بيروت.

تلك الظروف بالذات كانت الولادة الفعلية لما سيُعرف مستقبلاً بـ"حزب الله".

كان الشعور بالقهر لدى المسلمين، بل الوطنيين عموماً في لبنان، قد بلغ ذروته:

١ – فقد هُزمت المقاومة الفلسطينية وأُخرجت بالقوة، من لبنان الذي ودّعها باكياً، مستشعراً سيادة العصر الإسرائيلي على مقدّرات الأمة كلها واكتمال دائرة الهزيمة عليها!

٢ – وسوريه قد أُخرجت مثخنة بالجراح، من معظم لبنان، ووسط صدام سياسي عنيف بينها وبين قيادة المقاومة الفلسطينية، انعكس بحدة على اللبنانيين فمزّقهم عاطفياً وفكرياً وسياسياً، وألحق أشد الأذى بتوجهاتهم القومية.

٣ – ثم إنّ "إسرائيل" قد نصّبت بدباباتها، وفي "انتخاب" جُمِع له النواب بشتى وسائل التهديد والإغراء (بما في ذلك الخطف والحصر في صناديق السيارات) قائد ميليشيا "القوات اللبنانية" (بشير الجميّل) الحليفة العلنية لـ"إسرائيل"، رئيساً للجمهورية اللبنانية!

٤ – بالمقابل، كانت حرب صدام حسين ضد إيران، الثورة الإسلامية، تكمل عامها الثاني مستهلكة معظم طاقة الأمة، ومعظم مواردها الاقتصادية والسياسية، لا سيما في الجزيرة والخليج، محدثة شرخاً خطيراً في المؤسسات التي يُفترض أن تجسّد تضامنها ووحدة موقفها، وأولها جامعة الدول العربية.

وفي حين لم تجد الدول العربية ما تعالج به الكارثة الجديدة إلاّ قمة "فاس"، وإلاّ مشروعاً للتسوية تقدّم به ولي العهد السعودي، آنذاك، الأمير فهد بن عبد العزيز (الملك الراحل)، فإنّ الأحداث في لبنان كانت قد اتخذت وجهة مغايرة في اتجاه التصدي لنتائج الاجتياح.

وهكذا، وقبيل أن يتسلّم بشير الجميّل صلاحياته الدستورية بأيام كان اغتياله بتفجير أحد مكاتبه الحزبية، حيث كان يعقد لقاء تنظيمياً موسعاً.

ومع انكشاف المذابح الجماعية التي أودت بحياة أكثر من ١٥٠٠ رجل وامرأة في مخيمي صبرا وشاتيلا، معظمهم من الفلسطينيين، وبينهم كذلك عشرات من العمال اللبنانيين والسوريين الفقراء، كان القرار الدولي بإنزال قوات أطلسية في لبنان توطد الأمن وتحمي مَن تبقّى من الفلسطينيين والمعارضين، وتهيئ لانسحاب مشروط للقوات الإسرائيلية الغازية.

بالمقابل، كانت سوريه تبحث عن أسلوب مختلف للمواجهة والحد من تحقيق الأهداف السياسية للاجتياح الإسرائيلي وتغيير المعادلات القائمة في لبنان واستكمال الطوق من حول النظام الحاكم في دمشق.

والتفتت سوريه الى مركزين متباعدي الموقع والهدف تماماً: طهران، الثورة الإسلامية في إيران، التي كانت تبحث بإلحاح عن "دور عربي" يؤكد صدق إسلامها ويشر عن ثورتها، فوجدت في فلسطين ضالتها. وهكذا، ومنذ اليوم الأول، كان الحكم الثوري يطرد البعثة الإسرائيلية من طهران ويسلّم "القلعة" التي كانت مقراً للسفارة بمكاتبها المختلفة وحشد العاملين فيها والمتخصصين في مختلف المجالات، من الزراعة الى المخابرات، والتي كان عددهم "أكثر من كتيبة".. الى منظمة التحرير لتكون "سفارة فلسطين".

مع فلسطين، وللوصول إليها كان لا بد من لبنان، وقبل كان لا بد من سوريه التي كانت قد رحّبت بثورتها أشد الترحيب وجهدت لأن تقيم معها "حلفاً مقدّساً" سرعان ما تأكد مع اندفاع صدام حسين الى محاربتها، وبشعار استمده من فجر الإسلام: "القادسية"، وأضفى عليه بعداً قومياً حين انتدب نفسه موقع حارس البوابة الشرقية – لحماية العرب من الفرس المجوس!

وبعد طهران الثورة ومعها، بل وقبلها، لابد من لبنان، لا بد من العودة إليه ليس فقط بداعي رد الاعتبار، بل أساساً لحماية دمشق ذاتها من النتائج السياسية المباشرة للاجتياح الإسرائيلي.

www.liilas.com/vb3
KRAY AHEEN

لا بد من لبنان، بتراثه النضالي من أجل تحرير فلسطين، من أجل كل قضية قومية، وبواقع احتلال نصف أرضه، حتى بعد جلاء "إسرائيل" عن عاصمته والضواحي المحيطة بها؟!

إذاً، فالبداية محددة بحكم الواقع : مقاومة الإحتلال الإسرائيلي وكل ما ترتب عليه من نتائج سياسية.

وهكذا، وجد الحلف السوري – الإيراني مرتكزاً سياسياً جديداً في لبنان، ووجد هدفاً سياسياً لا يمكن لأحد الطعن في مشروعيته أو التشكيك في الغرض منه.

كان العديد من رجال الصف الثاني في الثورة الإيرانية يعرفون لبنان جيداً، وجنوبه على وجه الخصوص، كذلك فإنّ مجاميع من هؤلاء كانت تربطهم صلات نضالية بالمقاومة الفلسطينية وهم قد تدربوا في مخيماتها، وبعضهم قاتل معها. وقلّة منهم استُشهدوا على أرض الجنوب.

وهكذا، جاء بعض هؤلاء، ومعهم مجموعات من رجال الحرس الثوري الإيراني الى لبنان، واستخدموا مخيمات التدريب التي تناوبت عليها المنظمات الفلسطينية (فتح أساساً ثم الآخرون) وحركة" أمل" لكي يبدأوا دورات تدريب سريعة لمن يريد أن يجاهد في سبيل الله ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، وصولاً الى تحرير فلسطين ذاتها، وبشعار متوهج: "زحفاً زحفاً حتى القدس"!

قبل ظهور حزب الله بفترة، كانت بعض الأحزاب السياسية في لبنان، وأبرزها الشيوعيون والقوميون السوريون، ومعهم حركة أمل، قد باشروا بعض أعمال المقاومة ضد الاحتلال، مستفيدين من خبرات رجال الاستطلاع والرصد والخرائط المتوافرة لدى المخابرات العسكرية السوريه.

ثم انفتح المسرح لمشاهد جديدة لم تكن مألوفة من قبل: تم تفجير المقرات القيادية لبعض القوات الأطلسية التي كانت أُنزلت في بيروت لتأمين "إسرائيل" بعد انسحابها،

وضمان عدم عودة المقاومة الفلسطينية، وإن كانت الذريعة تأمين المدنيين الفلسطينيين وحمايتهم من مجازر جديدة.

تم تفجير مقر كتيبة "المارينز" الأميركيين (تشرين أول/ أكتوبر ١٩٨٣)، ثم مقر قيادة الاحتلال في صور (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣)، ومقر الكتيبة الفرنسية (١٩٨٣/١٠/٢٦).

كان كل تفجير ينثر، مع الضحايا، هيبة هذه القوات في الهواء، ويعزز في النفوس القدرة على المقاومة.. وخصوصاً أنّ "المنفّذ" الفدائي كان يقتحم المقر مبتسماً وهو يهتف: "الله أكبر"!

كذلك، كان واضحاً أنّ هذه الاقتحامات تحظى برعاية سوريه – إيرانية مشتركة، بينما كان الإتحاد السوفياتي الذي "تحرر" أخيراً من زعيمه "بريجنيف" قد أسلس قياده لقائد جديد يؤمن بالمواجهة ولا يهرب منها هو "أندروبوف"، وخصوصاً أنّ موسكو شعرت بأنها قد خُدعت، مرة أخرى، واستُبعدت من مسرح الحركة في الصراع الأخطر في المنطقة الأعظم أهمية.. وهكذا فقد تقدمت لتكون الضلع الثالث في الحلف الجديد.

كان على السوريين والإيرانيين أن يقدّموا رجالهم، بداية، كمدربين وحماة وكمقاتلين أيضاً.. وكان الخزان البشري في جنوب لبنان (أرض المعركة) وامتداداته المذهبية (في بعلبك – الهرمل والضاحية الجنوبية لبيروت) هو محط الأنظار والآمال.

وهكذا، أطلت النواة الأولى لحزب الله، من مقاتلين ومحاربين، جاءت طلائعهم من حركة أمل أساساً، ثم بعض الذين خذلتهم المقاومة الفلسطينية، أو دفعهم تحدي الاحتلال الى البحث عن إطار لنضال ضده وعن مصدر للسلاح والتدريب والرعاية.

لم يكن السلاح مشكلة، كانت الرعاية السياسية هي المطلب.

ولقد حاولت إيران توفير هذه الرعاية مباشرة، فاكتشفت – بعد صدامات دموية –أنها لا تستطيع تأمينها إلاّ عبر سوريه وبالتفاهم معها.

على امتداد ثلاث سنوات طويلة بين ١٩٨٢ و ١٩٨٥تنامى التنظيم برجاله، الحسني التدريب، وغير المعروفين، والحريصين على السرّية والتكتّم وعدم الظهور العلني، والذي سيصطدم بكل القوى السياسية والحزبية القائمة، والتي رأت فيه منافساً خطيراً، خصوصاً أنّ الإمكانات التي توفرت له كانت عزيزة على غيره ممن نالها قبله سابقاً – ومن جهات أخرى – ثم ضيّعها في معارك وهمية غالبها ضد الذات.

كانت البداية مشوشة تماماً، وأحياناً مدانة، خصوصاً أنّ بعض المحسوبين على إيران، أو الآتين من الاتجاهات الأكثر تطرفاً فيها، لم يتورعوا عن رفع شعار "جمهورية إسلامية في لبنان".

ولأسباب عديدة ظهر كأن طلائع التنظيم الجديد والشرس تعتمد منطق العنف المطلق: فهي تحتكر لنفسها الإيمان وتكفّر الآخرين، ولا تتورع عن التورط في صدام مسلّح مع قوى كانت قائمة وصاحبة نفوذ قبل ظهور حزب الله، وكانت قد وصلت –بقوة الظروف – الى السلطة فصارت طرفاً أساسياً لها فيها حق" الفيتو" – (حركة أمل تحديداً) .

وقعت اغتيالات طالت شخصيات فكرية وسياسية وثقافية معروفة.

نشبت معارك دموية شرسة مع قوى أخرى كانت هناك قبل ظهور حزب الله، ولم يكن سهلاً عليها التسليم باختراقه نسيجها، فكيف بادعاء الحق في القيادة لأنه الأقدر في قتال العدو؟!

وكانت أشرس المواجهات وأكثرها دموية مع التنظيم الشيعي الآخر، حركة أمل، على ساحة الجنوب، ومن أجل تأمين القواعد فيه والمعابر نحو المواجهة مع الإسرئيليين، سواء في المناطق اللبنانية التي كانت بعد تحت احتلالهم، أو في اتجاه فلسطين المحتلة ذاتها.

ما أبعد المسافة بين نقطة البداية، تحت في السفح، وبين ذروة النصر بالتحرير.

ولشد ما تبدّل الخطاب، وتبدلت الأدوات والعلاقات، كما تبدّل شكل التنظيم وشعاراته.

لقد قطع حزب الله درب الهزيمة بطوله. بدأ من تحت تحت. جرّب وأخطأ، اصطدم بذاته وبغيره كثيراً. جالد وصبر وعمل بدأب ولم تتوقف حركته يوماً.

كانت إطلالته الأولى باعتباره "حزب المستضعفين"، وكان المنتمون الأوائل الى صفوفه هم "المنبوذين" المعدمين، أبناء البؤس والشقاء الذين لم يتبقّ لهم إلاّ الله، فجاء يأخذهم إليه.

وها هو الآن الحزب الأعظم شعبية، والأفضل تنظيماً والأصلب موقفاً، وأكاد أضيف والأرفع في وعيه السياسي وقراءته لخريطة التحولات، والمبادرة الى التعديل بما يراعي المزاج العام من دون التخلي عن ثوابته الإيمانية وشعاره الجهادي الأبعد مدى: فلسطين.

في أول انتخابات نيابية خاضها حزب الله سنة ١٩٩٢ مع "الحليف السوري"، وعبره مع النظام في لبنان، كانت أسباب اندفاع الناس لإعطاء أصواتهم لمرشحيه مختلفة عنها اليوم: إنه في الشتاء قد وزع المازوت والوقود على المساكين والأرامل حتى لا يؤذيهم صقيع تلك السنة الكثيرة الثلوج، وإنه فتح الطرقات الى القرى التي عزلها الثلج وأنقذ الأهالي المحاصرين في بعض المناطق (بجرافات تابعة لدوائر رسمية) بينما الإدارة الحكومية مشغولة عنهم بروتينها ولامبالاتها الثلجية القاتلة.. وإنه ساعد الفقراء فدفع عنهم رسوم التسجيل لأولادهم في المدارس الرسمية، من دون أن يفرّق بين المنتمين لهذه الطائفة أو تلك.

فالحزب له نشاطات اجتماعية واسعة جداً، وله مؤسسات قوية في حقول التربية والمساعدات الإجتماعية، إضافة الى مؤسساته الإعلامية الهائلة النشاط.

على غرار ما أنشأته الثورة الإسلامية في إيران، وبمساعدات مباشرة منها، أقام الحزب ما يمكن اعتباره فرعاً لمؤسسة "جهاد البناء"، وهي لعبت مع المؤسسة الأم في طهران دوراً لا يُنسى في إعادة ما تهدّم في الجنوب بعد الإجتياح الإسرائيلي في تموز (يوليو) ١٩٩٣، ثم بعد الاجتياح الثاني في نيسان (أبريل) ١٩٩٦.

وهناك "مؤسسة الشهيد" لرعاية أبناء الشهداء، وهي تتولى هؤلاء الأيتام فتعلّمهم وتنشّئهم تنشئة ملتزمة، ويشكّلون – من ثم – رصيداً ومدداً متجدداً لا ينضب.

ثم هناك مؤسسات تعليمية عدة، في الجنوب كما في بعلبك – الهرمل، وهي تلتزم المنهج الرسمي، وتعلّم اللغات الأجنبية، وتستوفي أقساطاً، ولكنها تلزم طلابها الكثير بالتقاليد الإسلامية في اللباس الشرعي والانضباط الخُلُقي والالتزام بقواعد الدين الحنيف.

في أواخر تموز/يوليو ١٩٩٣ قامت "إسرائيل" باجتياح ناري واسع النطاق للبنان عموماً، وللجنوب بشكل خاص، وتقصّدت أن تهجر أهله بعد تدمير العديد من المرافق الحيوية، ونشر جو من الذعر بالقصف المستمر على مدار الساعة، بحيث كاد يتعذر الصمود، خصوصاً أنّ مقوّماته الأساسية، بدءاً بالملاجئ (المخابئ) وانتهاء بأسباب المقاومة والقدرة على المواجهة غير متوفرة.

وبالفعل شهدت طرقات الجنوب مواكب الهاربين من الموت الإسرائيلي بعشرات بل بمئات الألوف.. ولقد قصدوا بيروت وضواحيها، حيث لهم أقارب، أو حيث يمكن أن يتوفر المأوى والحد الأدنى من ضرورات العيش.

صمد مقاتلو حزب الله في الأرض، فلم يغادروها، ولم يلقوا السلاح، وتعاظمت عملياتهم ضد جنود الاحتلال.. حتى تم وقف النار بعد مداخلات دولية ومساعٍ عربية محدودة ولكنها كانت ضرورية.

مع وقف النار بدأت ورش "مجاهدي بناء" العمل لإعادة بناء ما تهدّم من المرافق والبيوت والمنشآت العاملة. وصلت مساعدات مهمة وعاجلة من إيران، كما قدّمت سوريه معظم كميات الإسمنت اللازم، بينما اقتصرت المساعدات العربية على وسائل الإسعاف السريع (بطانيات، خيم، معلّبات) مع تحذير ضمني من لعبة المقاومة الخطرة.

وطاف مجاهدو حزب الله على القرى يساعدون في أعمال الترميم أو إعادة البناء، فزاد تقدير الناس لهؤلاء الشجعان الذين لم يهربوا ولم يتركوا الأرض للعدو.

وفي منتصف نيسان / أبريل العام ١٩٩٦ عاودت" إسرائيل" اجتياح لبنان بالنار، وكانت عمليتها أوسع نطاقاً، وأعظم طاقة على التدمير، فعطلت محطات تحويل الكهرباء ونسفت الجسور لمنع التواصل بين اللبنانيين وعزل الجنوب، مطالبة الدولة بضرورة القضاء على "المخربين" من مجاهدي حزب الله.

استنجد لبنان فلم يسمعه أحد، وأبلغ وزير الخارجية الأميركية آنذاك "وارن كريستوفر" مَن يعنيهم الأمر أنه سيكون في جولة على اليابان وبعض الدول الآسيوية، تاركاً لهم رقم هاتفه للإتصال به متى وافقوا على وقف إطلاق النار بالشروط الإسرائيلية.

نشر الإسرائيليون الموت في كل مكان، حتى بلغ ذروته بمجزرة قانا، بالقرب من صور، حيث قتلت المدفعية الإسرائيلية ١٠٥ مواطنين، أكثريتهم من النساء والأطفال والشيوخ الذين تركوا منازلهم المهددة ملتجئين الى معسكر لقوات الأمم المتحدة، ظناً منهم أنهم بذلك سيكونون في الأمان من لوثة الدم الإسرائيلية.

ولأمر يتصل بالمصالح جاء وزير خارجية فرنسا "هيرفيه دو شاريت"، يحاول ويسعى الوصول الى وقف للنار الإسرائيلية، خصوصاً أنّ وكالات الأنباء العالمية والعديد من شبكات التلفزيون الغربية، والأميركية قد نقلت صورة المجزرة فور وقوعها، فشاهد العالم كله جنود الأمم المتحدة يجمعون أشلاء الأطفال في أكياس من النايلون..

استمر القتال، وصمد مقاتلو حزب الله، بل إنهم كانوا في كل يوم يزيدون من عنف مواجهاتهم مع جنود العدو الإسرائيلي، ويزيدون من دفعات صواريخ "الكاتيوشا" الموجهة الى المستوطنات الإسرائيلية القريبة من الحدود اللبنانية.

وجاء العالم الى دمشق ليحاول وقف المذبحة وليمنع تحول الاشتباك نحو حرب مفتوحة ستضطر سوريه الى دخولها لحماية الذات إن لم يكن لحماية المقاومة والمرافق في لبنان.

جاء وزراء خارجية الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وإيران ومصر والسعودية، إضافة الى الوزير الفرنسي الذي رفض أن يعود الى بلاده قبل وقف النار.

طالت المفاوضات وتعقدت قبل أن يتوصل الجميع الى قاعدة لوقف الاشتباك عنوانها وقف العمليات العسكرية ضد المدنيين على طرفي الحدود. أي لا قصف إسرائيلياً من الجو أو من البر أو البحر ضد أهداف مدنية، ولا "كاتيوشا" تطلقها المقاومة ضد المستوطنات.

كان ذلك "تفاهم نيسان" الذي شكّل نصراً معنوياً للمقاومة إذ "اعترف" بها العالم، واقعياً، من واشنطن الى تل أبيب، مروراً بباريس وموسكو وسائر العواصم.

وشكّلت لجنة لذلك التفاهم ضمت إضافة إلى الولايات المتحدة وفرنسا: سوريه و"إسرائيل" ولبنان.

وبرغم أنّ النص لم يذكر المقاومة بالاسم فإن وجودها فيه لم يكن يحتاج الى ذكر مباشر.

بعد "التفاهم" اندفع مقاتلو الحزب، مرة أخرى، يساعدون الناس في العودة الى بيوتهم، ويساعدونهم في إعادة بناء ما تهدّم. وحفظ لهم الناس، وبتقدير عالٍ، أنهم احتفظوا لأنفسهم بحق الطلقة الأخيرة، قبل الالتزام بوقف النار، تأكيداً لأنهم قادرون على التصدي وعلى الصمود وعلى مواصلة المواجهة وعلى تحقيق نصر معنوي، نتيجة كفاءاتهم القتالية والتفاف الناس حولهم، مما حرك العالم ليوقف المذبحة معترفاً للمقاومة بحقها في حماية مواطنيها في أرضهم.

وكانت تلك الولادة العربية والدولية لحزب الله.

لقد صار طرفاً في معادلة دولية، وصار كأنه العضو السادس في تلك اللجنة الخماسية.

وبعدها لن يكون حزب الله مجرد فصيل مقاتل، بل لقد كرّس حقه في قيادة المقاومة، وفي الاعتراف به طرفاً أساسياً في القرار الوطني اللبناني.

وجاء الاعتراف العربي به خجولاً، واضطرارياً ومتستراً بالاعتراف الغربي عموماً والأميركي خصوصاً.. سيما أنّ "إسرائيل" قد سلّمت به طرفاً في المعادلة الجديدة.

وباختصار، فإنّ حزب الله ليس نبتاً شيطانياً، ولم يأتِ من الفراغ.

وبرغم الرعاية السوريه والمساعدات الإيرانية المفتوحة، فإنّ حزب الله مؤسسة سياسية لبنانية، إسلامية الطابع، شيعية التقاليد، عربية التوجه والانتماء الأخير.

إنّ حزب الله هو، بمعنى ما، الوارث الشرعي لمجموع الأحزاب والحركات الوطنية والقومية والتقدمية والحركات الثورية التي ماجت بها المنطقة خلال الخمسينيات والستينيات، ثم أخذت تضعف وتتهاوى ابتداء من السبعينيات، وإن كان بعضها ما زال يرفض إعلان "وفاته"، إما لأنه علّق شعاراته على كتف سلطة قائمة تحكم باسمه ولكن من دونه، وإما لأنّ "الجديد" الذي وُلد في عصر التراجع ظل أضعف وأقل شرعية أو مشروعية أو تمثيلاً للإرادة الشعبية من القديم في" شبابه".

يكفي التذكير بأنّ المنطقة التي قاتل فيها حزب الله ضد الاحتلال الإسرائيلي كانت – على امتداد ثلاثين سنة أو يزيد – الخزان البشري للحركات والأحزاب والمنظمات العاملة للتغيير أو الطامحة لتحقيقه سلماً أو حتى بقوة السلاح.

كما أنّ تلك المنطقة كانت خط النار الذي لم ينقطع فيه دوي المواجهات المفتوحة.

إنّ حزب الله، وكما انتهت إليه سيرته النضالية، هو الوارث الشرعي لحزب البعث العربي الاشتراكي، لحركة القوميين العرب،وللتيار الناصري، وللحركات ذات الطابع الماركسي بدءاً بالحزب الشيوعي وانتهاء بآخر مجموعة غيفارية، ولحركة أمل بتراث السيد موسى الصدر التحريضي.

كذلك، فإنّ حزب الله هو البديل المتقدم من المقاومة الفلسطينية التي دخلت، أول ما دخلت، الى هذه البقعة بالذات، ومنها انطلق "فدائيوها" الأوائل، وأنشأت فيها وبمساعدة أهلها قواعدها الأولى، واتخذت من أبنائها أدلاّء الى الأرض الفلسطينية البحتة.

بعد التحرير بأيام، ذهبنا في جولة لاستعادة الذكريات في الأرض التي استعادت حرّيتها.

وذات صباح انطلقنا من الخيام نزولاً في اتجاه نهر الوزاني، عند السفح الشمالي الغربي لجبل الشيخ، غير بعيد عن السفح السوري، الجولان.

www.liilas.com/vb3
TRAYATHEEN

بلغنا قعر الوادي في ربع ساعة بالسيارة، حيث أقيمت على النهر بعض المطاعم والمقاهي الشعبية، يقصدها عشاق الهدأة والهاربون من الحر الى ظلال أشجار السنط والدلب والحور والصفصاف القائمة حدوداً للنهر الشحيح المياه، بحيث تستطيع تخيّر السمكة التي تريدها للغداء.

جلسنا الى طاولة في المقهى الذي أعاد فتحه مواطن من الخيام ذاكرته حديدية وفرحته بعودة الحياة الى المنطقة المحتلة لا يعادلها إلاّ حسرته على المياه المهدورة التي يستفيد منها الإسرائيلي بينما" لا نفعل نحن غير الكلام عن سرقته لها، وأرضنا بور وعطشى من حولها".

قال صاحب المقهى: أتعرفون؟ الى هنا جاء الفريق علي عامر في العام ١٩٦٤، أيام المشروع العربي لتحويل مجرى نهر الأردن، ذلك المشروع الذي طوته الهزيمة في جملة ما طوت، بينما بقي النهر يتخذ مجراه من لبنان الى فلسطين المحتلة ليصبّ في بحيرة طبريا.

كنا في قعر الوادي، والحد لا يبعد عنا أكثر من بضع مئات من الأمتار، وعلى التلال المحيطة بالمجرى يمتد الشريط الشائك الذي نصبته "إسرائيل" حدوداً.. وكان جندها يراقبون الناس والمياه، بل لعلهم كانوا أكثر اهتماماً بالمياه منهم بالآتين الى أكل السمك من النهر الصغير الذي يبتلعه "العدو" ولا تفيد منه إلاّ قليلاً.

أنهينا الجولة التفقدية في بعض قرى" العرقوب" كفرحمام، كفرشوبا، الهبارية، وشارفنا شبعا، تلك المنطقة التي عُرفت لفترة طويلة، وابتداء من العام ١٩٦٨ وحتى الحرب الأهلية في لبنان، باسم "فتح لاند".

جلسنا الى صديق يحاول إعادة تجديد بيته الذي هجره دهراً، قال: الى هذا البيت جاءت الخلية الأولى من مقاتلي "فتح" قبل ٣٢ سنة. وكان عمي دليلهم، فالأرض هنا جبلية وعرة كما تلاحظون. وكبار السن الذين كانوا يعملون أو يتاجرون أو يقصدون فلسطين للنزهة والسياحة يعرفون الطرقات جيداً، ويعرفون مواقع المغاور والكهوف، ويعرفون

كيف يختصرون المسافة، وكيف يهربون من حرس الحدود ومواقع الجيش المعادي، وخصوصاً أنّ كثيراً منهم كان يعمل بالتهريب.

يوم الثلاثاء في ٤ تموز (يوليو) الماضي، وقف إدوار سعيد عبر "معبر فاطمة" على الشريط الحاجز الذي يفصل بين لبنان وفلسطين المحتلة. كان الجندي الإسرائيلي المصفّح مقابله تماماً، في برج الحراسة، يراقب جموع" الزوار" بمنظاره المكبّر، بينما جموع من المواطنين تتوافد، وبعضها يردد مع الشريط المسجل الأغاني الشعبية التي حوّرت كلماتها لتلائم التطور: "مقاوم إسلامي، مقاوم إسلامي.. للسيد حسن أهدي سلامي"، أو مقاطع أخرى ترفع الكلفة مع الأمين العام لحزب الله، فتسمّيه باسم أكبر أبنائه الذي استُشهد قبل حوالى سنتين: "أبو هادي".

انحنى إدوار سعيد فأخذ حجراً، ثم قفز في الهواء بقدر جهده، فارتفع جسده المنهك بالمرض، لكن يمناه كانت قوية بما يكفي ليطلق حجره في اتجاه الجندي الإسرائيلي. وسافر الحجر دون إدوار الى فلسطينه المحتلة، بينما بقي هو خارج مرمى الرصاص.

هل هي حالة تمثّل؟!

هل هو اليأس من إمكان أن تتجدد الإنتفاضة فيأخذ إدوار سعيد حجره من قلب أرضه ليرشق بها محتل أرضه ليستعيدها منه؟!

وقبله، وفي ٢٣ حزيران (يونيه) كان وفد شعبي أردني يضم ١٤٠ شخصاً يمثّلون نقابات المهندسين والأطباء والمحامين والصيادلة وهيئات مقاومة التطبيع، وقف عند الحاجز نفسه إضافة الى أحزاب وتيارات إسلامية وقومية برئاسة رئيس مجلس النقباء الدكتور طاهر الشخشير.

انحنى الرجال الآتون للمشاركة في فرح التحرير، فأخذوا حجارة ورشقوا بها جنود الحاجز الإسرائيلي، فكان الرد بالرصاص، وسقط أربعة جرحى من زوار المعبر، الذين لا يستطيعون أن يرشقوا "سائحاً" إسرائيلياً يتجول في عمان، أو في البتراء، أو في المناطق الصناعية المشتركة، أو السفارة الإسرائيلية بعمان بحجر واحد.

لعل عليهم أن يبدأوا الطريق من بدايته.

ليل السبت في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٨، كنت أجلس الى السيد حسن نصر الله، في مكتبه، ننتظر وصول موكب "الشهداء العائدين" في أكفان، بعد نجاح عملية تبادل معيّنة مع العدو الإسرائيلي.

كنت أتأمل الوجه الهادئ للقائد الأربعيني البسيط المظهر، أسود اللحية كثيفها، بحيث تتعدم الحدود بين عمامة "السيد" السوداء وبينها، وهو ينتظر وصول جثمان نجله البكر الشهيد هادي حسن نصر الله، الذي سقط على أرض المعركة، وعجز رفاقه عن سحب جثته، فاحتجزها الإسرائيليون مفترضين أنهم يستطيعون استثمارها في فرض بعض شروطهم على الأب القائد المفجوع بابنه.

لم أتعب كثيراً في ابتداع أحاديث للتسرية عنه. كان الأسهل أن تطلق الحديث بسيطاً عن هادي، عن دراسته، عن نشأته، عن أترابه، عن اختياره التطوع في المقاومة، عن آخر مرة رآه فيها، عن رد فعل والدته الثكلى الخ..

وكان بين ما رواه "السيد حسن" أنه تبلّغ نبأ استشهاد هادي وثلاثة من رفاقه يوم الجمعة، وكان ثمة احتفال جماهيري ضخم لدعم المقاومة في اليوم التالي، السبت، وكان في البرنامج أن يبدأ الاحتفال – وفقاً للتقليد الشيعي المتجدد – بمجلس عزاء، وهو مجلس "عاشوراء" الذي تستعاد فيه وقائع استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وأشقائه وأبنائه في كربلاء.

وبطبيعة البكائيات التي تتلى في مجلس العزاء، فإنّ الجمهور يغرق عادة في أشجانه، وينشج الرجال قبل النساء، وتُسفح الدموع غزيرة، وهي تستمطر اللعنات "على مَن ظلم أهل البيت".

قال السيد حسن: حاولت أن أتدخل لتعديل البرنامج بإلغاء مجلس العزاء، حتى لا يفترض البعض أنه قد أقيم خصيصاً من أجل هادي (ورفاقه).. فليست هذه طريقة مناسبة في استقبال الشهداء، الشهيد لا يُبكى، بل هو المثال والقدوة ومصدر العزة.

وكان عليّ أن أخطب بعد مجلس العزاء. وحين وقفت فوق المنبر، واجهتني عشرات الكاميرات التلفزيونية بالمصابيح الكهربائية الهائلة الطاقة. كان الحر فوق الاحتمال، خصوصاً أنّ هذه المولدات تضخ حرارة شديدة، إضافة الى أنها تضايق البصر، لا سيما بالنسبة لمن يستخدم النظارات مثلي.

"بدأت خطابي، بالمعتاد في مناسبات كهذه.. وفي لحظة معيّنة، شعرت أنني لم أعد أرى، إذ كان العرق ينهمر على وجهي غزيراً ويغطي زجاج النظارتين.

"هممت بأن أمد يدي الى علبة المحارم (الفوط) على الطاولة أمامي، لكي أمسح عرقي، أقلّه عن نظارتي، لكنني فكرت أنّ بين هذه التلفزيونات التي تنقل الحفل مَن هي أجنبية الهوية، وربما يبيع بعضها إنتاجه لـ"إسرائيل".. وسيفترض الجميع أنني أمسح دمعي لا عرقي إذا أنا أخذت منديلاً ومرّرته على وجهي، جمدت يدي، وفضّلت أن أسبح بعرقي على ألا أعطي العدو صورة الأب المفجوع يقف على المنبر باكياً بكره، بينما هو يدعو الآخرين الى الشهادة.

ما أنا إلاّ واحد من أهل الشهداء..".

في الليل، وفي أحد مستودعات المطار رُصفت النعوش الأربعون، وجاءت ثلة من الحرس الجمهوري لتؤدي التحية، على وقع نشيد الموتى..

وجال السيد حسن على النعوش جميعاً، فحيّا الشهداء حتى بلغ "هادي"، فهمس له، بعد الصلاة، بكلمة وداع، ثم عاد لممارسة عمله كأيٍّ من ذوي الشهداء، ولكن من موقع القائد المسؤول عن موكب التحرير.

هل انتهت أو يمكن أن تنتهي قصة حزب الله عند حدود إنجاز التحرير.

قطعاً لا. وإن كانت تتعدد الأسئلة حول: الى أين من هنا؟

المؤكد أنّ السلطة في لبنان ليست هي الهدف، فهو لا يريدها، ولا هي تتسع له.

والمؤكد أنه يتطلع الى فلسطين، ولكن لاهو يقدر، من غير فلسطينيين، ولا تبدو ظروف فلسطين (قيادة وشعباً) مؤاتية بالقدر الكافي.

والمؤكد أخيراً أنّ "إسرائيل" لن ترضى بأن يبقى قوة عظيمة الكفاءة وجاهزة للقتال في كل لحظة، ومن "داخلها" هذه المرة.

ومفهوم أنّ الدول الكبرى، وفي الطليعة منها الولايات المتحدة الأميركية، تضغط على لبنان (وعلى سوريه) لكي تبعث الجيش الى الجنوب بحيث تنتفي الحاجة ويبهت البريق ويتحول حزب الله الى عبء على الأمن الداخلي، بينما الهدف إبعاده عن فلسطين المحتلة والإسرائيليين فيها.

الى أين من هنا؟! حزب الله لا يحدد خطوته التالية، والاحتمالات مفتوحة في أرض الصراع المفتوح بعد، والذي سيبقى مفتوحاً حتى إشعار آخر.

من المستحسن ألاّ نتعجل الجواب.

فحزب الله يعتبر أنه لم يُتم واجبه بعد.

والأرض العربية حبلى بالاحتمالات. فلننتظر الجواب الذي ستوفره لنا الأحداث في المقبل من الأيام.

٢ – حوار السيد حسن نصر الله مع غسان شربل (صحيفة الحياة) :

سألت سياسيين في لبنان عن احتمال عودة الوزراء الشيعة عن اعتكافهم ليمكن ترميم حكومة الرئيس فؤاد السنيورة فردوا: لماذا لا تسأل السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله»؟ . سألتهم عن احتمال اندلاع مواجهة في الشارع بسبب الانقسام حول الموقف من سوريه وملفات اخرى وتلقيت منهم الرد نفسه الذي تكرر حين حاولت الاستفهام عن مستقبل الوضع في جنوب لبنان والقرار ١٥٥٩ لمجلس الأمن، وسلاح المقاومة بعد استكمال التحرير. "المفتاح موجود لدى نصر الله" ، قالوا. ولم يترددوا في الإشارة الى ان العلاقات الإقليمية لـ«حزب الله»، تحديداً تحالفه مع سوريه وإيران، تنذر بإبقاء لبنان «أسيراً لسنوات طويلة».

رائحة خوف في لبنان. خوف من الاستنفار الطائفي والمذهبي، ومن شلل عام ينذر بكارثة اقتصادية، أو بما هو أسوأ.

لم يعد رئيس الجمهورية قادراً على لعب دوره ! واضح ان الألغام الطبيعية والمفتعلة تعوق قدرة الحكومة على متابعة الملفات الصعبة، بدءاً من التحقيق في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري وصولاً الى الهموم اليومية للمواطن العادي.

حملت الأسئلة والمخاوف الى مكتب السيد حسن نصر الله في ضاحية بيروت الجنوبية، وكان هذا الحوار الذي تنشره «الحياة» على حلقتين، وهنا نص الأولى:

> سماحة السيد، هل نحن عشية حرب أهلية جديدة في لبنان؟

- (ضاحكاً) تبدأ الحوار من مكان صعب.

> أجواء البلد تشجع على طرح هذا السؤال...

- تسألني عن الحرب الأهلية. أعوذ بالله من ذلك. أنا طبعاً أستبعد هذا الأمر. صحيح ان الأوضاع في لبنان تشهد توترات حادة في الآونة الأخيرة ولكن أتصور ايضاً انه يوجد من العقل والحكمة والضمانات ما يجعلنا بعيدين عن وضع سيئ من هذا النوع.

> هل يمكن ان يرى «حزب الله» نفسه مضطراً الى اطلاق الرصاصة الأولى في قتال داخلي؟

- مستحيل أن يطلق «حزب الله» رصاصة في قتال داخلي. هذا اولاً. ثم إن «حزب الله» يسعى في شكل دؤوب وجدي وحازم كيلا يقع في مؤامرة تحويل وجهة سلاحه، وهو يرفض ذلك في شكل مطلق.

> ما هي مشكلة «حزب الله» حالياً، هل هو مطالب بالتنازل عن جزء من دوره الإقليمي كي يتمكن من ان يكون جزءاً من الوفاق الداخلي؟

- المشكلة القائمة في لبنان حالياً ليست مشكلة «حزب الله» بالتحديد. انها مشكلة لبنان. أي لبنان نريد؟ الى اين نريد ان نذهب بلبنان؟ مستقبل لبنان وخياراته الاستراتيجية، السياسات التي يجب ان تحكم الوضع الداخلي والعلاقات الخارجية اللبنانية؟ هذه هي المسألة. لـ «حزب الله» وجهة نظر قد لا تتفق مع بعض القوى الموجودة اليوم في

السلطة، وقد تتفق مع وجهات نظر قوى سياسية اخرى. المسألة لا ترتبط بدور «حزب الله» بقدر ما ترتبط بهذه الخيارات الأساسية والاستراتيجية.

> هل يمكن تفصيل ذلك اكثر؟

– اليوم هناك نقاش في لبنان هل إسرائيل عدو ام ليست عدواً؟ هل تشكل تهديداً استراتيجياً للبنان ام لا؟ هل انتهت الأطماع الإسرائيلية في لبنان ام لا؟ كيف نتعاطى مع الخروق الإسرائيلية اليومية للسيادة اللبنانية؟ كيف نسترجع بقية الأرض المحتلة؟ كيف نسترجع الأسرى والمعتقلين؟ هناك نقاش كبير حول هذه المسائل. هذا بالنسبة الى الملف الإسرائيلي. هناك نقاش ايضاً حول الملف الفلسطيني، السلاح الفلسطيني خارج المخيمات وداخلها، الحقوق المدنية للاجئين، مستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان: توطين، عودة، تهجير؛ هناك نقاشات.

الملف الثالث هو العلاقة مع سوريه. النظرة الى سوريه ومستقبل العلاقة معها، المصالح الوطنية اللبنانية في هذه المسألة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

هناك ايضاً العلاقات الدولية. هل خرجنا، كما يقول الإخوة في ١٤ آذار، من الوصاية السوريه لندخل كما يقول الإخوة في ٨ آذار في وصاية اميركية – فرنسية على لبنان؟ ما هي حدود التدخل الأميركي والفرنسي في لبنان؟ ما هي النظرة الى المساعدة التي يقدمها الأشقاء العرب من المملكة العربية السعودية الى مصر الى جامعة الدول العربية؟ هذه مسائل خلافية. هناك من يرفض أي شكل من اشكال التعريب او المساعدة العربية إلا اذا كانت تخدم مشروعه، لكنه يرحب بأي تدخل اميركي او فرنسي.

في الملف الداخلي هناك ايضاً اسئلة كبيرة حول السياسات: الإصلاح الإداري والمالي والسياسي وملفات الفساد وهل تقتصر على «بنك المدينة» ام هي أوسع. هذا نقاش. هناك من يحصر الفساد بملف «بنك المدينة» ولا استعداد لديه لمناقشة ان الديون تبلغ ٤٠ بليون دولار واين صرفت الأموال.

> فتح هذه الملفات ألا يشكل إحراجاً لكم؟

- لا، نحن ليس لدينا أي إحراج.

> على الأقل لحلفاء أو أصدقاء؟

- لا مشكلة لدينا. وهناك مشروع الدولة وتطبيق بقية بنود الطائف. لبنان اذاً في مخاض. هناك نقاش حول أمور كثيرة. من التبسيط الشديد القول ان لا مشكلة في لبنان سوى مشكلة «حزب الله» ودوره، وكيف نعالج هذه المشكلة. موضوع «حزب الله» جزء من هذا المخاض الكبير لأن «حزب الله» قوة اساسية في البلد وله وجهات نظر في كل هذه المسائل، وفي الحد الأدنى يدّعي انه مخلص لوطنه وشعبه وللمصالح الوطنية اللبنانية، وحريص على وحدة البلد وتجنب أي فتنة داخلية وحريص على السلم الأهلي وبناء الدولة والمشروع الحقيقي الداعي الى بناء الدولة على اسس صحيحة. من هذا الموقع فإن «حزب الله» بما يمثل ومن يمثل لديه آراء قد تتفق وتختلف مع آخرين فتنشأ خلافات وصدامات.

قصة ٨ آذار

> ألا تعتقدون انه كان في استطاعة «حزب الله» ان يتصرف بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري بطريقة اخرى تخفف وطأة الأجواء السائدة؟ هل كانت تظاهرة ٨ آذار في ساحة رياض الصلح ضرورية؟

- تماماً. كانت ضرورية جداً اذا عدنا الى المناخ الذي كان سائداً في ذلك الوقت. هناك مجموعة من القوى السياسية التي صار اسمها لاحقاً ١٤ آذار، أو قوى المعارضة طبعاً «حزب الله» لم يكن من قوى الموالاة، لم يكن عضواً في الحكومة ولم يكن منَح حكومة الرئيس عمر كرامي الثقة. ولكن هو ليس في موقع المعارضة التي كانت قائمة في ذلك الحين. المناخ الذي كان سائداً، الاتهام لسوريه. والقول أن سوريه هي التي قتلت الرئيس الحريري هو اتهام ومحاكمة وحكم. وبناء عليه حصلت الضغوط التي ادت الى خروج القوات السوريه بالطريقة التي خرجت بها. وسرت في

الشارع اللبناني موجة شديدة من التحريض السياسي والاعلامي والنفسي لم تستهدف النظام فقط في سوريه بل أيضاً الشعب السوري. وأستطيع بكل جرأة أن أصف تلك الحملة بأنها اتصفت في بعض الأحيان بمسحة عنصرية في بعض وسائل الاعلام وبعض الخطابات. ونحن لمسنا لمس اليد أن هذا التحرك سيؤدي الى صنع عداء مستحكم بين الشعبين اللبناني والسوري، وأنا لا أفترض ذلك بل لمسناه، لدينا طلاب لبنانيون في الجامعات السورية وهناك كثيرون من اللبنانيين الذين يذهبون الى سورية ويعيشون فيها ولمسوا ذلك من الانسان العادي، حتى من الذين يعارضون النظام في سوريه. هذا لمصلحة من؟ كان لا بد من عمل ما يعبر فيه اللبنانيون عن شكرهم وامتنانهم حيال كل ما قدمته سوريه للبنان مع تحفظهم على الأخطاء التي ارتكبتها في لبنان. وهو ما قاله الرئيس بشار الأسد في خطابه. وتظاهرة ٨ آذار جاءت بعد خطاب الرئيس الأسد الذي تحدث عن أخطاء. بين ٨ آذار و١٤ آذار، ماذا جرى؟ كلانا طالب بالحقيقة وبالتحقيق في اغتيال الرئيس الحريري ونريد وحدة وطنية والسلم الاهلي وبناء الدولة واتفاق الطائف. نحن لسنا مختلفين على هذه الأمور. لكن هناك من يقول شكراً لسوريه وهناك من يشتم سوريه ويحاكمها من دون دليل، ويبني جداراً من الكره بين شعبين لا يمكن أن ينفصلا عن بعضهما بعضاً. في تقديرنا، الإنصاف والعدل يقضيان بألا تحاكم أحداً قبل ادانته. المصلحة الوطنية اللبنانية تقضي ألا يكون هناك عداء بين الحكومتين والشعبين، وبالدرجة الأولى بين الشعبين. فالحكومات تأتي وتذهب، أما الشعوب فباقية ولا نريد ان نصل الى مرحلة يتأصل هذا الحقد فيرثه جيل بعد جيل. من هنا الحاجة إلى ٨ آذار. هذا في الاعتبار السوري.

أما في الاعتبار الداخلي، حركة ٨ آذار في الشارع قامت باستيعاب نفسي كبير ومهم جداً لحالة احتقان، أي بتعبير آخر، خطاب المعارضة لم يكن يستهدف فقط النظام في سوريه بل استهدف أيضاً العديد من القوى السياسية في لبنان، وبلغة تحريضية قاسية جداً جداً. هذه القوى لها امتداداتها في الشارع وطبعاً جزء من هذا الخطاب تناول حتى

المقاومة. لهذه القوى جمهور عريض كان يستمع الى هذه الخطابات، يوماً تلو الآخر وشهراً تلو الشهر، وكان يتعبأ. في المقابل هناك شارع يتعبأ ولا بد من حركة تعيد ضبط هذا الشارع وتوازنه النفسي ليعبر عن نفسه وعن وجوده وعن شعاراته، فيقول أنه غير ضعيف وانه لا يمكن حذفه وشطبه. في رأينا توقيت ٨ آذار كان مهماً لاستيعاب الشارع الآخر، لإبقاء الخصام القائم في اطار السياسة والإعلام من دون ان ينسحب الى صدامات في الشارع. وفي رأيي لولا ٨ آذار كان يمكن للصدام أن يندفع الى الشارع وهذا طبعاً خط أحمر بالنسبة إلينا، ولا نريد ان يصل لبنان الى هذه المرحلة. وفي كلا الاعتبارين اللبناني الوطني واعتبار مصالح لبنان وعلاقة الشعبين اللبناني والسوري، كان لا بد من حركة ٨ آذار.

> أين نحن اليوم في موضوع اعتكاف الوزراء الشيعة؟ هل توقف الحوار؟

– حتى الآن حصلت محاولتان للتوافق. المحاولة الأولى في الرياض والتي في الحقيقة لم يتدخل فيها الأشقاء السعوديون وانما كانت الرياض الظرف المكاني، باعتبار ان الاخ الشيخ سعد الدين الحريري لا يستطيع ان يأتي الى لبنان، والاتصال بالواسطة أو بالهاتف غير مجد. طلب أن يذهب مندوبون من «حزب الله» وحركة «امل» إليه، وبالفعل ذهب مندوبان، وكانت لقاءات لمدة ٤٨ ساعة وحوارات، وهو تشاور مع حلفائه في لبنان عبر الهاتف وتم التوصل إلى اتفاق. وهذا الاتفاق الذي أنجزه هؤلاء اللبنانيون باركته المملكة العربية السعودية، ولكن بمجرد ان عاد الإخوة على ان يتم اعلان الاتفاق في اليوم التالي، بدأ اطلاق النار على هذا الاتفاق من بعض حلفاء الشيخ سعد، تحديداً السيد الاستاذ وليد جنبلاط. وفوجئنا في الوقت الذي اجتمعت كل وسائل الاعلام في منزل رئيس الحكومة دولة الرئيس فؤاد السنيورة، بأن دولة الرئيس يبلغ وسائل الاعلام أنه لا يمكنهم السير قدماً بهذا الاتفاق بسبب تحفظ بعض حلفائهم. في اليوم الثاني جاء عدد من الوزراء على قاعدة التشاور مع رئيس الوزراء وبدأت حملة اعلامية شديدة على الاتفاق الذي تم التوصل اليه، تارة بأن هذا اتفاق تم خارج لبنان

كأن اتفاق الطائف تم في لبنان، أو كأن مدينة الطائف تقع في جبل لبنان، وتارة بأن هذا الاتفاق سيؤدي الى اتفاق قاهرة جديد. عملياً أجهض الاتفاق وبقينا بضعة أيام نتحاور ثم أعيد التواصل. رئيس الوزراء قدم صيغة ناقشناها وأجرينا عليها بعض التعديلات البسيطة وتفاهمنا. وأستطيع أن اقول اتفقنا. ولكن كي أكون دقيقاً قال الرئيس السنيورة : هذا جيد، هذه ايجابية لكنني اريد أن أشاور حلفائي. وكان الرئيس نبيه بري ذهب الى المملكة لأداء فريضة الحج والتقى الشيخ سعد في جدة، على ان يذهب دولة الرئيس السنيورة ويحصل لقاء هناك. الصيغة التي تم التفاهم عليها مع الرئيس السنيورة والتي كان من المفترض أن تبقى ضمنية لمزيد من النقاش والتشاور، أبرزها بعد يومين الاستاذ وليد جنبلاط في أحد لقاءاته في المختارة كنص أمام وسائل الاعلام، وبدأ يخطب ويعلق عليها. عملياً كنا ننتظر رداً من الرئيس السنيورة حول الاتفاق الجديد، وحتى الآن لم يأت بجواب. أمس عندما كان السنيورة يجري اتصالات بالرئيس بري والاستاذ وليد جنبلاط من أجل استيعاب الجو الاعلامي والتصعيد الأخير، سألنا الرئيس السنيورة اين أصبحنا في الموضوع الأساسي، قال انتظروا أياماً ان شاء الله نحن نتواصل. لم نأخذ جواباً في شأن الاتفاق الثاني ولا أستطيع أن اتحدث بتفاؤل لأن الذين أجهضوا الاتفاق الأول قد يجهضون الثاني، وهم يريدون تصعيد الامور وأعتقد بأن هناك من يعمل جاهداً لئلا يحصل اتفاق بين «حزب الله» وحركة «أمل» من جهة و «تيار المستقبل» من جهة ثانية.

> بأي غرض؟

- منذ الخلاف الذي حصل في مجلس الوزراء الاستثنائي الذي عقد يوم الاثنين الذي حصلت فيه حادثة اغتيال النائب جبران تويني، ونحن تحفظنا على توسيع عمل لجنة التحقيق الدولية لأسباب ترتبط بأمن لبنان. الادلة التي قالها الإخوة لم تكن مقنعة بأننا لو وسّعنا لجنة التحقيق سيضبط الوضع الأمني في لبنان وتقف الاغتيالات، فقلنا لهم ان غالبية الاغتيالات جرت بعد تشكيل لجنة التحقيق. وهذا يعني ان الحكومة تعلن عجزها

وفشلها عن ضبط الأمن في لبنان. وهذا أمر خطير وسيئ للبنانيين وللمستثمرين في لبنان أو الذين يريدون الاستثمار فيه. أما المحكمة الدولية التي طرحت في شكل طارئ، فكانت نقطة على جدول أعمال يوم الخميس. فقلنا لهم جيد، اليوم هو يوم الاثنين ويمكن أن ننتظر الى الخميس ومن المفترض ان نستمع منكم الى صيغة المحكمة الدولية، لأنني اؤكد انه حتى اليوم لم يقدم اي نص ولو صغير لأي وزير، يقول ما هي المحكمة الدولية.

> هل صحيح أنك أعطيت موافقة مبدئية على المحاكمة الدولية، واقترحت موسكو مقراً لها؟

– لا، هذا غير صحيح ولم أسمع بقصة موسكو. ولكن عندما حدثت المشكلة مع الضباط السوريين، لجهة التحقيق معهم، واقترح السيد ميليس اجراءه في مونتيفيردي، أنا كنت من الأشخاص الذين قالوا في بعض الجلسات الداخلية، ماذا نريد نحن؟ هل نريد أن نصل الى الحقيقة أم أن نحرج بعضنا بعضاً؟ هل نريد أن نعرف الحقيقة أم أن نحرج سوريه؟ اذا كان المطلوب التحقيق مع الضباط السوريين فليحصل في أي مكان تطمئن اليه سوريه، وعلى سبيل المثال موسكو أو القاهرة، وهذا رأي شخصي. أما بالنسبة الى المحكمة الدولية، فقلت لهم نعم نحن من حيث المبدأ نتحفظ، فنحن لا نعرف لمن ستصغي هذه المحكمة، ولكن إن أعلمتمونا عن طبيعة المحكمة وآلياتها ومرجعيتها والقانون الذي ستعتمده قد نتجاوز التحفظات. لذلك كان مفترضاً ان يزورني النائب بهيج طبارة يوم الاثنين او الثلاثاء ليعرض علينا الصيغ المفترضة أو المقترحة، لنبت الامر في جلسة يوم الخميس. أصروا في جلسة الاثنين الاستثنائية على ان يصوت مجلس الوزراء على طلب محكمة دولية من دون أن نفهم ما هي هذه المحكمة. فاعترضنا على هذه الطريقة، وخرجنا من الجلسة وعلقنا عضويتنا في مجلس الوزراء. منذ ذلك الحين، لم ننقطع عن الحوار، لم نصعّد اعلامياً ولا سياسياً ولم نهاجم أحداً.

www.liilas.com/vb3
RAYAH EEN

كنا نُسأل لمَ خرجتم؟ وكنا نشرح ونقول أعطونا وقتاً واعطونا نصاً، ولكن منذ ذلك الحين والسيد وليد جنبلاط يشن هجوماً يومياً.

> لم؟

- يجب أن تسأله.

الوساطة بين جنبلاط والأسد

> كنتم قمتم بوساطة مع الرئيس الاسد بخصوص وليد جنبلاط، في ٢٠٠٥. لمَ تعثرت؟

- جيد أن نتحدث عن هذه الوساطة. اولاً انا عندي من المشاغل والهموم الكثير الكثير. في السنة الاخيرة قبل استشهاد الرئيس الحريري، قامت علاقة جدية وودية بيني وبينه. قال لي السيد وليد جنبلاط " يا أخي الامور تغيرت في دمشق كنا نلتقي العماد حكمت الشهابي وهو الآن خارج البلد، وكنا نلتقي السيد عبد الحليم خدام وهو الآن غير معني. وأنا أذهب وألتقي بفلان وفلان وفلان ولا أعرف ان كان هؤلاء ينقلون ما أقول لهم الى الرئيس بشار الاسد. فأنا اريد منك اذا أتيحت فرصة للتواصل بينك وبين الرئيس الاسد، ان نحدد بالضبط قناة الاتصال". عرضت الموضوع على الرئيس بشار فقال لا مشكلة. الذين يتواصل معهم هم معنيون ومسؤولون، ولكن اذا اراد أن يتواصل في شكل خاص عن غير طريق آخر، أنا مستعد لتقبل أي رسالة وأي موضوع، أنا مستعد لتقبل ذلك عن طريق فلان، وحدد أحد المسؤولين.

> فلان سوري؟

- طبعاً، من دمشق. أي اذا توجه وليد بك الى دمشق واراد ان يقابل فلاناً يمكنه ذلك في أي وقت. لسوء الحظ أن هذا الأمر حصل في الاسبوع الذي استجد فيه موضوع التمديد للرئيس اميل لحود، وأقول استجد لأنه بحق استجد. المناخ لم يكن مناخ تمديد للرئيس لحود ثم تحول الى قرار تمديد، أو توجه تمديد.

> هل ساهمتم في قرار التمديد؟

- كنا ورقة بيضاء. لم يكن لدينا مانع من التمديد. لم نصر عليه ولم نمانعه. لذا كنا دائماً نتعاطى بأن هذا الخيار مفتوح وقابل للنقاش. فصار التمديد، بالتالي عندما بدأ العهد الرسمي للولاية الجديدة، حان وقت تشكيل حكومة جديدة. لأول مرة، وخلافاً لكل الحكومات السابقة، كان رأينا أن يشكل الرئيس الحريري الحكومة الجديدة. وأنا شجعته وهو كان متردداً بعض الشيء. بل عملنا لدى الإخوة السوريين لتوضيح أن الظرف والمصلحة بعد التمديد، يقضيان بأن يشكل الرئيس الحريري الحكومة. لكن الحريري كان يقول لي: انا لديّ مشكلة في أن أشكل حكومة من دون وليد جنبلاط. وفي ظل المناخ الصعب بين جنبلاط والسوريين سيكون صعباً تشكيل حكومة، فأريدك أن تساعدني بموضوع جنبلاط وعلاقته مع السوريين. طلب مني الرئيس الحريري في ذلك اليوم موعداً عاجلاً والتقيته في الضاحية الجنوبية، وقال: يجب ان تتدخل اليوم فوراً. وكان جنبلاط يومئذ شن هجوماً على السوريين، وفي اليوم التالي لزيارة الرئيس الحريري لي، كان مقرراً عقد لقاء لقوى سياسية وأحزاب في الكومودور ضد وليد جنبلاط، وفي الليلة ذاتها كان وليد جنبلاط ضيف حلقة «كلام الناس» على شاشة «ال بي سي». سألت الرئيس الحريري لمَ اليوم، فقال والتعبير له: «لأنهم غداً في الكومودور سيسلخون جلده وليلاً هو سيهاجم حتى النهاية، بالتالي أي فرصة لتصحيح العلاقات مع سوريه، لن تكون متاحة. وأنا فكرت طوال ليل أمس، ولم أنم لحظة، وتوصلت الى أنك انتَ من يستطيع معالجة الوضع. واتمنى أن تتحدث الى وليد بك وتطلب منه تهدئة الأمور». اتصلت بوليد بك، وتحدثت اليه وقلت له أتمنى أن تتروى وتهدأ وأنا سأعالج الامر غداً. وبالفعل في الليلة ذاتها، أجريت الاتصالات اللازمة لتهدئة الاجواء لليوم التالي في الكومودور. كما خفف وليد جنبلاط هجومه وقال على الشاشة: انا ملتزم مع السيد حسن، وكررها ثلاث أو أربع مرات. دخلت أنا إذن في

الوساطة. والامر لم يكن معقداً. كل ما كان مطلوباً ترتيب لقاء بين الرئيس الأسد ووليد جنبلاط ليجلسا ويتفاهما.

في البداية كان الرئيس بشار الاسد منزعجاً من تعاطي الرجل معهم، ولكن نتيجة محاولات متكررة أبدى الرئيس الاسد ايجابية في استقبال جنبلاط في ذلك الحين. وهذه المرة الاولى التي أكشف فيها هذا الموضوع. أرسل الأسد يقول لي بالنهاية جنبلاط تهجم علينا وعلى النظام وأكثر من تعرض للهجوم ممثلنا في لبنان، العميد رستم غزالي فإن استطعت رتّب الموضوع، ولو من باب اللياقة، ليلتقي وليد جنبلاط برستم غزالي، وعندئذ أهلا وسهلاً به في دمشق. وأنا اعتبرت الامور ممتازة. ارسلت الى وليد بك، وكان يوم سبت، ولا أذكر التاريخ، لكنه قبل اغتيال الحريري وقبل اعتزاله الحكومة. الاثنين كان هناك مؤتمر البريستول. السبت أرسلت أحد الإخوة الى المختارة، واتصلت به هاتفياً فقلت له هناك مستجدات، وأتمنى أن تستقبل الاخ وتستمع اليه وتعطيني جواباً. ذهب الاخ الحاج حسين خليل وقال له نتيجة لوساطة السيد، الجو في سوريه جيد وايجابي، والرئيس بشار جاهز وسنرتب مواعيد فتذهب أنت والسيد معاً، لكن السيد يرى أنه من باب اللياقة، ولم نقل أن هذا شرط الدكتور بشار، إما أن يدعونا رستم غزالي الى الغداء فنمر به في طريقنا الى الشام، أو يدعوك السيد الى الغداء انت ورستم غزالي فننهي هذا الجو ونلتقي بعدها الاسد. فقال له دعني أفكر وأشاور. اتصل الحاج حسين من المختارة وقال لي هذا ما حدث، فقلت له حسناً فليبق الامر بيننا فان لم يقبل لنعرف كيف نعالج الموضوع لاحقاً. واذا بوليد جنبلاط يفشي ما حدث في مؤتمر البريستول. فهمت في تلك اللحظة انه ليست لوليد جنبلاط أي نية جدية للتصالح مع السوريين، حتى قبل اغتيال الرئيس الحريري، وان السيد وليد جنبلاط اخذ خياره بالصراع مع هذا النظام. ومع ذلك، اعتقد بأن ما قاله في البريستول كان مسيئاً إليّ شخصياً كوسيط، وللرئيس الحريري المتحمس للوساطة وللسوريين أنفسهم. كان واضحاً، وانا أشهد بأن كل هذا الجو كان قبل اغتيال الرئيس الحريري،

وابدى الرئيس بشار الايجابية المطلوبة لتجاوز المشكلة مع وليد جنبلاط، لكن وليد جنبلاط كان مصراً على الذهاب الى الصدام مع النظام في سوريه. بعد اغتيال الرئيس الحريري صارت الأمور أصعب. لم يعد ممكناً الحديث عن وساطة. نعم، كنا أنا وآخرون نبذل جهوداً شخصية وليست بطلب من أحد لترتيب الأمور وترطيب الاجواء، لكن الامور كانت صعبة.

> هل حصلت في تلك الفترة موافقة على استقبال وليد جنبلاط من قبل مسؤولين سوريين ولكن من دون اللقاء مع الأسد؟

- هذا جرى لاحقاً بعد استشهاد الرئيس الحريري، والهجوم الكاسح الذي شنه وليد جنبلاط. صار الرئيس الاسد يتحفظ. لكنه لم يمانع في أن يلتقي معه مسؤولون آخرون.

اللجنة السورية

> يقول جنبلاط ان الانقسام الحالي هو على الموقف من النظام السوري وليس من الشعب السوري، واسمح لي ان اقول أكثر: ثمة من يقول إن لدى «حزب الله» برنامجاً لإعادة النفوذ السوري الى لبنان.

- (ضحك) أولاً هذا ادعاء بلا دليل. ثانياً لو أخذنا «حزب الله» ماذا استفاد من الوجود السوري في لبنان، ولن اقول منذ ثلاثين سنة فقبل ١٩٨٢ لم يكن «حزب الله» موجوداً. من ١٩٨٢ الى اليوم الذي خرجت فيه القوات السوريه ماذا استفاد «حزب الله» من الوجود السوري، وماذا استفاد وليد جنبلاط؟ وآخرون وآخرون وآخرون؟ لنتحدث عن فترة وجود سوريه في لبنان. اولاً وجودنا في ادارات الدولة، لم يكن لنا أي وجود. بالعكس اغلقت أمامنا الادارات الرسمية. اما المناطق التي كان لنا فيها نشاط ونفوذ معنوي وشعبي فكانت تزداد حرماناً وفقراً. نحن لم نستفد بالوظائف ولا بالمشاريع والإنماء والسلطة، ولا أي شيء كما استفاد آخرون. لذلك كل من اراد ان يحاكم تلك الحقبة، ليست لدينا مشكلة معه، بل سنكون مرتاحين لأننا خارجها.

نعم، الوجود السوري في لبنان كان يعني لنا شيئين: اولاً هو عامل رئيسي في تأمين الاستقرار الداخلي، بسبب هشاشته. ثانياً كان هذا الوجود يشكل حضناً حامياً للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي. بالتالي، أنا موقفي من سوريه خاضع لاعتبارات وطنية واستراتيجية وليس خاضعاً لحسابات شخصية أو حزبية أو مصلحة آنية. أنا لم أكن مع سوريه في لبنان لأنها كانت تجد لي وظائف في ادارات الدولة، ولا لأنها كانت تؤمّن لي مشاريع او تعطيني موازنة أو وزراء أو نواباً. وهم يعلمون هذا. بالعكس، اللجنة السوريه التي كانت تدير الشأن اللبناني حتى العام ٢٠٠٠ كانت تتعمد تجاهل «حزب الله» في المعادلة الداخلية اللبنانية.

> لماذا؟

– لأمر يرتبط بهم، لا أعلم.

> عفواً تعني اللجنة السورية التي ضمت خدام والشهابي وغازي كنعان؟

– نعم اللجنة السورية. اذاً، انا اعتباراتي استراتيجية. أنا أتحدث عن الأمن والاستقرار في لبنان، وعن حماية المقاومة. اليوم أنا لا اعمل لا لاعادة القوات السوريه الى لبنان ولا لإعادة الاستخبارات السورية إليه، ولا لإعادة النفوذ السوري. وللمناسبة، شئنا أم ابينا نحن وغيرنا، لسورية نفوذ في لبنان لا يستطيع أحد أن يستأصله، بحكم ما يُقال عن واقع التاريخ والجغرافيا وشبكة المصالح وتشابك العلاقات العائلية والاجتماعية.

هناك هدف آخر نعمل له. نحن نرفض محاربة سوريه من لبنان، ونرفض تورط اللبنانيين بأي مشروع لإسقاط النظام في سوريه. وهذا خطر على سوريه ولبنان. لأسباب وطنية لبنانية، نعتبر أن أي حرب سياسية أو امنية أو اعلامية فضلاً عن عسكرية، يريد بعضهم ان يجر لبنان إليها، هي على خلاف المصالح الوطنية اللبنانية بصرف النظر عن الموضوع القومي والعروبي وموضوع إسرائيل والوضع الاستراتيجي في المنطقة، لأنها حرب خاسرة بكل المعايير والموازين. وما نقوله اليوم ان هناك في لبنان من يريد إسقاط النظام في سوريه.

> مثل مَن؟

- كثيرون ومنهم وليد جنبلاط الذي يدعو القوات الاميركية الى احتلال سوريه وإزالة النظام كما ازالت النظام العراقي السابق. وهذا واضح، وهو دعا المعارضة السوريه الى الاستعانة بالخارج. ميزة وليد جنبلاط أنه يقول ما يريد، هناك آخرون يعملون ولا يقولون. لا تسألني مَن، فعندما يقولون أقول لك. في رأينا هذا خطر على لبنان. اليوم المشكلة معنا أن بعضهم يريدنا أن نكون جزءاً من حربه المعلنة على سوريه ونحن نرفض ذلك. ليست المشكلة انهم لا يريدون النفوذ السوري ونحن نريده. هذا غير صحيح.

> أي انك تعارض عودة النفوذ السوري الى لبنان؟

- اذا كان النفوذ سيركّب حكومة ويأتي بنواب ويتدخل بالتفاصيل، نعم أعارضه. وأنا أعتقد بأن الرئيس بشار الأسد عندما تحدث عن أخطاء، وعن استراتيجية جديدة كان يقصد ذلك. لذا عندما قلت في احدى المقابلات إن سوريه لا تريد أن تعود الى لبنان كما كانت عليه في الماضي، كنت أعني وأعرف ذلك.

> هل تعتقدون فعلاً بأن سوريه تخلت عن حلم إدارة لبنان؟

- في ما يتعلق بالرئيس بشار الأسد، أعتقد ذلك.

> لكن هناك من يقول إن سوريه تريد إما أن تدير لبنان وإما أن يكون لبنان مضطرباً كي يظهر أن اللبنانيين عاجزون عن ادارة شؤونهم.

- أنا لا أوافق على ذلك، وأقول للبنانيين هؤلاء تعالوا لنرتب الأمور مع سوريه. طبعاً من دون أي لبس، لئلا يكون هناك أي لبس في كلامي فلتستمر لجنة التحقيق الدولية وليستمر التحقيق في اغتيال الرئيس رفيق الحريري، الى أن تظهر نتائج التحقيق. ميليس نفسه قال قبل مغادرته قد نحتاج سنة أو سنتين، وفي حال المحكمة الدولية لا نعلم كم سيطول الامر، في هذا الوقت نرتب الأمور مع سوريه ونأخذ فرصة كلبنانيين لنرى ان كان في استطاعتنا ادارة بلدنا او لا، وإن كان السوريون سيسمحون لنا

بإدارتها ام لا. فلنجرب ذلك قبل توجيه الاتهامات. ولكن، اليوم يوجه هذا الاتهام الى سوريه، ويستفاد من لبنان كمقر للتآمر على سوريه، اعلامياً وسياسياً ودولياً. اصبحت سوريه في شكل أو في آخر في موقع الدفاع عن النفس. حتى الذين تناقشهم يقولون لا، نحن في موقع الدفاع وهجومنا دفاعي. فلنوقف هذا الهجوم ولنجلس ولنسعَ. المسعى الأخير في جدة بين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس بشار الاسد هو محاولة لترتيب الامور بين لبنان وسوريه، بما يريح لبنان، ويريح سوريه ويعطي فرصة لاستكمال التحقيق. قبل أن يعرف أحد ماذا جرى في هذا اللقاء، بدأ اطلاق النار من لبنان، طبعاً بلهجة أقل مما تعرض له الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى. أنا لديَ احساس بأن في لبنان من لا يريد أن يحصل أي تفاهم مع سوريه تحت أي اعتبار من الاعتبارات، وبعض هؤلاء أشد الناس خوفاً من كشف الحقيقة في اغتيال الرئيس الحريري.

> يقال ان الحقيقة ثقيلة على أطراف كثيرة. على سوريه وربما على «حزب الله». ما هو ردك؟

– وربما تكون أيضاً ثقيلة على بعض قوى ١٤ آذار. بمعنى انه لو ظهرت الحقيقة وتبين أن لا علاقة لسوريه باغتيال الرئيس الحريري، ماذا يعني هذا؟ يعني أن كل البنيان السياسي والنفسي والاجتماعي وكل ما بني على اساس اتهام سوريه سينهار في لحظة واحدة. عندما تنتهي المحكمة أو التحقيق الى فرضية، وانا لا أحكم، مثلاً أن لا علاقة لسوريه بالاغتيال، أليس هناك من يخاف...

> هل تعتقد بأن ليست لسوريه علاقة؟

– ليس هناك أي دليل حتى هذه اللحظة.

> عندما يشار الى دور سوري في اغتيال الرئيس الحريري تسألون عن الدليل، وليس هناك أي دليل حتى الآن؟

- نعم، وأنا طبعاً لا أعتقد بأن لسوريه أي علاقة في مقتل الرئيس الحريري وأعلم ان هذا الكلام يزعج البعض، لكنها قناعاتي.

> من تتهم باغتيال الحريري؟ لم تثبت أي علاقة لإسرائيل لا في تحقيق القضاء اللبناني ولا تحقيق اللجنة الدولية؟

- لم يجر تحقيق لا في القضاء اللبناني ولا في اللجنة الدولية حول فرضية علاقة إسرائيل. لم يعتقل أحد في لبنان ممن له علاقة بإسرائيل وتدرب في إسرائيل، وله خبرة في التفجيرات والاغتيالات وعمليات خاصة، لم يتم توقيف أي شخص، بل تم التعاطي مع إسرائيل على انها يمكن أن تساعدنا وتزودنا المعلومات.

> فرضية أن تكون لـ "القاعدة" أو للأصوليين علاقة، ما تعليقك؟

- هذه فرضية قائمة وممكنة.

> هل ازدادت احتمالاتها في الفترة الأخيرة؟

ليست لديّ معلومات خاصة عن التحقيقات التي جرت مع مجموعة «القاعدة» سوى ما نشر في وسائل الاعلام. ولكن، بمعزل عن هذه التحقيقات، أعتقد بأنه من جملة الفرضيات القائمة.

> وهل هي أكثر ترجيحاً من فرضية إسرائيل؟

- لا أملك أدلة ومعطيات، لا يمكنني أن أقول شيئاً.

> معروف أن «حزب الله» يمتلك ماكينة أمنية، فهل صحيح ما يشاع من أن السيارة التي استخدمت في محاولة اغتيال مروان حمادة فُخخت في الضاحية؟

- هذا رائج أم تم ترويجه؟ السيد وليد جنبلاط رمى هذا الموضوع الى الاعلام.

> ولكن هل هي معلومات، أم أنها مجرد كلام؟

- أنا سمعت عن هذا الموضوع في الاعلام. ليس لديّ أي شيء خاص اولاً. ثانياً من يقول إن السيارة فخخت في الضاحية فليأتِ بشاهد، او بدليل. ثالثاً ليست لنا سلطة في الضاحية الجنوبية، ولا نراقب من يدخل ومن يخرج. هناك مواقف سيارات قدر ما

تشاء، ومواقف شاحنات، وهناك مناطق صناعية بكاملها، تشهد حركة مرور كثيفة. وأنا أقول لك ما يجري بين هاتين البوابتين اللتين تجتازهما للدخول الى هنا، هذا هو المربع الامني. وأنا مسؤول عما يجرى هنا، أما ما يجرى في الضاحية، فلا يمكنني القول أنني مسؤول عن كل ما يجري فيها. اغتيل اثنان من خيرة رجالنا في عمق الضاحية الجنوبية وبعبوات ناسفة، فلنفرض جدلاً أن أحداً ما جاء وفخخ السيارة في الضاحية ما علاقة «حزب الله»؟ الذي قيل لي ليس ان السيارة فخخت في الضاحية، بل ان لوحتها صنعت في أحد محال صب اللوحات في الغبيري. والتحقيق في هذا الامر ليس من مهماتنا بل من مهمة القوى الامنية. بامكان أي كان أن يأتي بسيارة ويصنع لها لوحة ليس في الغبيري فقط بل في حارة حريك، الى ماذا يدل ذلك؟

> يشهد البلد اغتيالات، ولها وقع سياسي والناس كلهم يتساءلون أليست لدى «حزب الله» معلومات، او الا يتهم أحداً.

– لأتهم أنا بحاجة الى معلومات، ومن أين تأتي؟ من اختراق تشكيل معين اذا كان هو مَن نفذ العملية. أتحدث فنياً. حسناً اذا كان المنفذ أي حزب لبناني أنا لا أملك نفوذاً داخل هذه الاحزاب. لا أملك أحداً في «الكتائب» ولا «القوات» ولا «الحزب الشيوعي» ولا القومي، ليس لديّ عمل معهم. ولنفترض أنه تنظيم «القاعدة». أنا ليس لديّ عمل أيضاً مع «القاعدة». عملي محصور بإسرائيل و «جيش لبنان الجنوبي» والشبكات ذات العلاقة المباشرة بإسرائيل.

> وهل تجزم بألا علاقة لـ «حزب الله» بكل هذه الاغتيالات؟

– لا أقبل أصلاً بأن يوجه الينا أحد أصابع الاتهام. أجزم طبعاً، لكنني بداية لا أقبل الاتهام. نحن أكبر متضرر مما جرى في لبنان. تصور أنني أنا الذي كنت أجري المقابلات وأتحدث بلبنان وفلسطين والأمة، صرت أدخل في متاهات تفخيخ السيارات والانقسامات الطائفية من شيعة وسنة ودروز وموارنة... الخ.

> مَن استدرج المقاومة الى هذا الجدل الداخلي؟

– هذا الذي يجعلنا نقول ان عملية اغتيال الرئيس الحريري عملية مشبوهة جداً جداً ويجب التوقف قبل توجيه الاتهام لأي كان، لأن حجم الاستهداف كبير، وهو بحجم الرئيس الحريري نفسه. لو مثلاً اغتيل كادر حزبي او نائب في البرلمان هل يقال ان هذا استهداف للبنان والمنطقة؟ لا، بل يكون استهدافاً لهذه الجهة، أما بقتل الرئيس الحريري فالاستهداف للبنان والمنطقة. أي ان هناك من يحمل مشروعاً للمنطقة. من جملة العناصر الاساسية المحققة لهذا المشروع اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري. اليوم اذا أخذنا التداعيات بعد ١٤ شباط. لا استقرار ولا أمن ولا طمأنينة ولا وضع اقتصادياً جيداً. والدولة تنتقل من أزمة الى أزمة. لكن هذا كله سهل. الاسوأ أن كل الحساسيات والاحقاد والضغائن الطائفية والمذهبية أعيد احياؤها من جديد. وفي الشارع اللبناني انقسامات حادة جداً. بدأتَ بسؤال هل نحن على مشارف حرب أهلية، وهو سؤال محق، فالناس متخوفون ولما كنا وصلنا الى هنا لولا اغتيال الرئيس الحريري. اذ إن من نفذ هذا الاغتيال ويُتبعه باغتيالات أخرى يهدف الى تخريب لبنان، واحداث فتنة طائفية ومذهبية وتفتيت لبنان. هذا هو هدف الاغتيالات. فغداً يشعر المسيحي أن الدولة غير قادرة على حمايته فيعيش في كانتون والدرزي أيضاً، والشيعة يتقوقعون في مناطقهم والسنة كذلك، هذا ان لم يحملوا السلاح في وجه بعضهم بعضاً. وهذا خطر جداً.

> هناك كلام مفاده أن في حال حُرّرت مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وأُطلق الاسرى، وأوقفت إسرائيل اعتداءاتها، ما المبرر لهذه الترسانة؟ هل ترسانة المقاومة بتصرف الطائفة الشيعية؟

– عندئذ يمكننا أن نقيم حواراً جدياً ونسأل ماذا سنفعل بهذا السلاح.

> حُكي عن مشروع لقاء مع العماد عون، فهل سيبقى مشروعاً؟

– في الوقت الراهن الاعتبارات الامنية مؤثرة. أنا ليس لديّ أي تحفظ أن أذهب الى الرابية في أي لحظة. ليس لدي بروتوكول. هناك بعض الاشخاص الذين لديهم

www.liilas.com/vb3 ARAYAHEENA

بروتوكول. أما أنا فلا أملك مشكلة بروتوكولية أو سياسية لأن أزور أحداً، ولكن عندي مشكلة أمنية، وكلنا اليوم مسجونون في البلد. بالمناسبة أنا مسجون في حارة حريك، وكلما أردت أن اذهب الى مكان يجب اتخاذ اجراءات كثيرة، لذا لا أخرج. ووليد جنبلاط مسجون في المختارة والعماد عون سجين الرابية، الرئيس نبيه بري يزور بعض الدول أحياناً، لكنه أيضاً محتاط وحذر، سعد الحريري مهجّر من البلد في شكل أو بآخر. الملاحظة الطريفة أن الوحيد الذي يملك حرية الحركة ويتجول في لبنان ذهاباً واياباً ويلتقي كل الشخصيات بكل ارتياح هو السفير الأميركي. فهو يذهب الى المختارة والرابية وعين التينة والسراي من دون أي مشكلة، لكنه طبعاً لا يذهب الى اليرزة او بعبدا بسبب العماد لحود (ضاحكاً).

> يحكى كثيراً عن تضخيم قصة الوصاية الأميركية والفرنسية فيما لم يكن هناك أي اعتراض من جانبكم على الادارة السوريه اليومية للشؤون اللبنانية، حتى ان هناك من يقول ان «حزب الله» شارك في الحكومة ليفجر الأمور في اللحظة المناسبة، لحظة الوصول الى المحكمة الدولية. ففي اليوم الذي خرج الوزراء اتخذ القرار بمحكمة ذات طابع دولي، وتوسيع التحقيق. ما رأيك بهذه القرارات؟

– أنا غير موافق على المقدمة. شاركنا في الحكومة بعدما قيل لنا اننا شركاء وسنتفاهم على الامور الاساسية، ولدينا فرصة لنبني البلد. هذه هي الحيثية الأساسية وعلى اساسها شاركنا في الحكومة. فنحن لم نشارك في الحكومات السابقة لأننا لم نكن مقتنعين بالطريقة التي تدار بها الامور، لذا لم نكن نعطي ثقتنا. وكان يطلب منا ولم نقبل. لم أهاجم السوري، صحيح، لأن علاقتي به استراتيجية. أما على المستوى الداخلي فكنت أعبر عن قناعاتي بالطريقة السياسية المتعارفة. فعندما تشكل سوريه الحكومة وأقوم أنا فأحجب الثقة، ماذا أكون فعلت؟ وعندما دخلنا الحكومة شاركنا بهذه الخلفية. حتى لجنة التحقيق الدولية التي تحفظنا عنها منذ البداية، وطالبنا بلجنة عربية سعودية لبنانية، صوّتنا للتمديد لها (اللجنة الدولية) مداراة لاخواننا وشركائنا. عندما

وصلنا الى توسيع لجنة التحقيق وتعرضت الاعلامية مي شدياق لمحاولة اغتيال، طرح الوزير مروان حمادة توسيع اللجنة لتشمل كل الجرائم. وفي ذلك الوقت أصدر الحزب التقدمي الاشتراكي بياناً رفض فيه توسيع اللجنة. اتصل الإخوان في «تيار المستقبل» بنا وقالوا هذا ليس طرحنا، اذا طرح الموضوع في مجلس الوزراء نتمنى ألا تصوتوا معه. وهذا منسجم مع قناعاتنا. وعندما وقعت حادثة جبران، طرح الموضوع مجدداً، فقلنا سابقاً قبل لا نريد ان نوسع لتبقى اللجنة مختصة بالرئيس الحريري كيلا تطول فترة عملها عشرين سنة، والآن نضيف مهاماً؟ «شو عدا ما بدا؟»، هذا طبعاً اضافة الى ملاحظتنا بأن هذا اعلان عجز، والخ.

أما (في موضوع) المحكمة الدولية فطلبنا مهلة الى يوم الخميس، فرفضوا. واعتبرنا ان خروجنا هو بالدرجة الاولى اعتراض على المبدأ، وهو الآن موضوع السجال. انا شاركت في الحكومة، ومنحتها الثقة على اساس اننا شركاء فتبيّن أننا لا نتفاهم ولسنا شركاء ولا نستحق حتى أن نعطى مهلة ثلاثة أيام لنتشاور بماهية المحكمة ذات الطابع الدولي. واذا لم نكن شركاء، لماذا نبقى اذاً في هذه الحكومة؟ وتفادياً لمزيد من السلبية، لم نقدم استقالتنا لان هذا قد يأخذ البلاد نحو جو مشحون كثيراً.

> لكن هناك شيئاً من الجمود حالياً. هل من توجه نحو الاستقالة؟

– لا. باب الحوار لم يقفل بعد. نحن بانتظار اجابات الرئيس السنيورة.

> هل افتقدت الرئيس الحريري في هذه الظروف؟ ولماذا؟

– طبعاً. فبالنتيجة لكل شخص شخصيته وتجربته، وهذا ليس تقليلاً من أهمية أحد. يعني أنا لا أقلل من أهمية الشيخ سعد ولا الرئيس السنيورة أو أي من الاخوان في «تيار المستقبل». حتى الشيخ سعد لا يقول أنه مثل والده. لا شك في ان تجربة الرئيس الحريري وشخصيته وقدرته على الاستيعاب والمبادرة، كلها مميزة. ولو أنه كان موجوداً في أزمة كهذه لتغيّر الكثير من الامور أو تعالج بسرعة. وتجربتي معه، على

رغم اننا مررنا بمرحلة خلاف حاد، أثبتت انه على درجة عالية من المرونة، وامتصاص الاشياء واستيعابها حتى في أشد المواقف.

> ما أهم ما ميز رفيق الحريري؟ وهل كان يشكو لك خلافاته مع السوريين؟

– القدرة على التحمل وعدم اليأس. كان يشكو لي من السوريين وغير السوريين.

> غير السوريين مثل مَن؟

– لن أذكر أسماء، فهم اليوم رفاقه ولا يجوز أن نتحدث عنهم. فللمصادفة أن من شكا منهم سابقاً هم اليوم في ١٤ آذار. فمن يرفعون راية الرئيس الحريري اليوم ألحقوا به أذى كبيراً في حياته، وكانوا يقولون عنه ما لا يقل عمن اختلفوا معه لاحقاً والمصنفين الآن خصوماً له.

> هل تعرفت عن قرب الى سعد الحريري؟

– طبعاً الفرصة التي أتيحت بعد استشهاد الرئيس الحريري، وفترة الانتخابات وتشكيل الحكومة، جرت لقاءات عدة. وأنا أقدر، وهذا اعتقادي الشخصي، لو أن الشيخ سعد الحريري موجود في لبنان، لتمت معالجة الكثير من الامور في شكل أفضل. فأنا أقدّر انه من تواصلي المباشر معه والذي سبق سفره الذي طال، نشأ نوع من المودة والثقة وكنا ربما «نمون» على بعضنا بطريقة ما لمعالجة الامور. فالبعد مشكلة، وأنا لا استطيع أن أتحدث على الهاتف لأسباب أمنية، وفي كل الأحوال التواصل بالواسطة شكل من أشكال الخلل.

> هل موضوع الرئاسة مطروح؟

– لا.

> أي هل نحن باقون حتى نهاية ولاية الرئيس لحود على الوضع ذاته؟

– على ما يبدو.

> هل تلتقي الرئيس لحود؟

– لا

> هل ما يمنع؟

– ظروف الحركة فقط، لكن هناك تواصلاً دائماً من خلال نوابنا ووزرائنا.

> اذا طُرح حل من نوع اختصار ولاية الرئيس لحود لتنفيس هذا الاحتقان، هل يوافق عليه «حزب الله»؟

– معالجة الوضع الآن بخطوات جزئية، لا تنفع وقد تعقّد الامور أكثر، فأي معالجة يجب أن تكون شاملة. مثلاً الرئيس الحص تقدم بمبادرة، فيها طرح كامل وتقترح استقالة الرئيس وحل المجلس النيابي، انتخابات مبكرة، رئيساً جديداً وحكومة جديدة. هذه مثلاً صيغة قابلة للنقاش.

الرئيس لحود نفسه يقبل النقاش إذا قدمنا له مشروعاً متكاملاً. هو لا يقول انه غير حاضر للنقاش في المطلق، بحسب انطباعي الخاص. وفي المنهج الذي تناولته سابقاً، أرى مثلاً أن مسألة السلاح الفلسطيني لا تعالج إذا أخذنا موضوع المواقع خارج المخيمات أو مسألة الحقوق المدنية أو غيرها كجزئيات منفصلة. لا تمكن معالجة الأمور بهذه الطريقة. نحن الآن في حاجة إلى وضع الملف الفلسطيني كاملا على طاولة النقاش، وان يحصل حوار بين الحكومة اللبنانية وبين الفلسطينيين في لبنان حول كل هذه المواضيع: السلاح خارج المخيمات، وضع المخيمات، حقوق المدنيين ومستقبل وجودهم. نحن اللبنانيين معنيون بهذا الموضوع.

> هل سبب لكم السلاح الفلسطيني خارج المخيمات إحراجاً ما؟

– نحن نقول إن المسألة في حاجة إلى حل. لم نقل ان هذا السلاح يجب أن يبقى. لكننا نرفض القول انه تجب إزالة هذا السلاح بالقوة عبر إرسال الجيش اللبناني، لأن ذلك يؤدي إلى وقوع معركة. مع احترامنا لهذا السلاح نرى انه لا يستأهل وقوع مشكل كبير في البلد من أجله، فالمواقع في الجبال مخفية ومنعزلة. نحن نقول فلتبدأوا الحوار مع الفلسطينيين، وهم جاهزون للحوار ولا يرفضونه. من أفشل الحوار ليس

الفلسطينيين بل اللبنانيين. كان الحوار جارياً معهم، عندما أرسلوا (الحكومة) إليهم الجيش بلا سبب.

> هل ما زال هناك إمكان لحصول لقاء بينك وبين النائب وليد جنبلاط؟

– طبعاً، حتى لو تخاصمنا أو اعتبرنا انه ظلمنا وتجرأ علينا وأساء إلينا. في النهاية نحن في لبنان محكومون بالجلوس مع بعضنا بعضاً وبالتفاهم لحل مشاكل البلد، ولا أحد يستطيع تجاهل الآخر. وقول جنبلاط إن قوى ١٤ آذار وحدها تقرر مصير لبنان من أخطائه التاريخية. هذا أعادنا إلى العزل، ولا اعني عزل الشيعة، فتقرير ميليس أشار إلى أن (المتظاهرين في) ٨ آذار كانوا مليوناً، وهم يثقون بتقرير ميليس، ويعتبرون أن شهادته لا ترد. وعندما يقول جنبلاط أن قوى ١٤ آذار وحدها تقرر مصير البلد، فهو بذلك يعزل مليون شخص كانوا في الساحة، عدا أولئك الذين لم يتمكنوا من الحضور.

قناعتنا أن لبنان لا يقوم على ثنائيات ولا على ثلاثيات، لا على طوائف كبرى ولا وسطى ولا صغرى. لبنان في حاجة إلى الجميع، وعلى الجميع أن يتفاهموا. وإذا انطلقنا من هنا، يجب أن نتكلم مع بعضنا بعضاً، حتى لو أخطأ في حقي أو أخطأت في حقه، جنبلاط أو غيره.

> إذا طرحت فكرة لقائك مع سمير جعجع، هل هناك موانع؟

– أهلاً وسهلاً، ليس هناك أي موانع.

> هل خطر في بالك أن تشجع سعد الحريري على العودة إلى البلد، أو أن تسهل عودته وتبدد مخاوفه؟

– أحب ذلك، لكنني لا اجرؤ على دعوته. لست الجهة القادرة على تأمين أي شكل من أشكال الحماية له أو لغيره. مثلما حصل عندما قال وليد بيك انه يطلب الحماية مني، أنا لست قادراً. أنا أحمي نفسي و"كثر خير الله". أنا أقول أن هناك جهات مشبوهة تعمل على الساحة اللبنانية لتفكيكها.

> هل هي جهات إسرائيلية؟

– الله أعلم. أي استخبارات دولية أو إسرائيلية أو مجموعات لا نعرف طريقة تفكيرها، في ساحة من هذا النوع، أنا أتمنى وأرجو وأفضل وأرى من المصلحة الوطنية أن يكون الشيخ سعد موجوداً في بيروت، لكنني لا أستطيع تحمل مسؤولية توجيه نداء إليه ليعود.

مخاوف من الفتنة

> هل أنت خائف من فتنة سنية – شيعية، وهل تجد ان هناك من يدفع في هذا الاتجاه؟

– نعم، أرى ان هناك دفعاً في هذا الاتجاه.

> هل عندك مخاوف من أمر كهذا في الشارع؟

– هناك احتقان في الشارع، وواحد من أسباب عتبنا على جنبلاط تصريحاته اليومية التي تؤدي إلى هذا الاحتقان. مثلاً، عندما يتحدث عني، يقدمني على أنني أدافع عن القتلة، وعلى أنني ضد كشف الحقيقة ومحاكمة قتلة الرئيس الحريري. ما الذي يفعله هنا؟ انه يحرض السنة ضدي وضد الشيعة. هو يقول انه لا يقصد التحريض، لكن كلامه يقود إلى ذلك.

ما الذي فعله عندما قال إن سلاح المقاومة هو سلاح الغدر؟ هو حرض كل من يحب المقاومة ويدعمها ضدي وضد من يدافع عني، ويقول انه لا يقصد التحريض، لكنه «خرب الدنيا وأقامها». وعندما يلمح (جنبلاط) الى سيارات مفخخة، هو يحرض الدروز على الشيعة في قصة مروان حماده، ويحرض المسيحيين على الشيعة في قصة التفجيرات التي وقعت في مناطقهم. وعندما يتكلم عن نص له علاقة بالمقاومة، هو نفسه الوارد في البيان الوزاري مع إضافة عبارة أن المقاومة ليست ميليشيا، يستنتج أن هذا اتفاق قاهرة جديد، ويحرض المسيحيين على «حزب الله» والشيعة. وكذلك عندما يحرض اللبناني على الفلسطيني أو السوري، ويطالب الجيش بالذهاب إلى الجنوب.

لذلك أقول نعم، هناك مناخ سيئ جداً. مثلاً، نحن ما دخلنا نحن بحادثة الناعمة؟ إذا تكلمنا طائفياً، ما هي علاقة الشيعة في الحادثة؟ لا شيء. حصل الإشكال بين شرطيين من البلدية وبين شباب من «الجبهة الشعبية - القيادة العامة»، وهم فلسطينيون غير شيعة وحصل تراشق ناري. أحضروا ٢٥ شاباً وقطعوا الطريق الدولية لأربع ساعات وأحرقوا الدواليب، في حين انتظر عشرات آلاف المواطنين على جانبي الطريق عشية العيد، ولم تحرك القوى الأمنية ساكناً. هذا كله بسيط. أن يهتف الشبان الذين أحضرهم وليد جنبلاط مطالبين بالزرقاوي وخدام وصدام، ويشتموني ويشتموا الرئيس بري. يشتموني بسيطة، أما أن يشتموا الرئيس بري! لكن ماشي الحال. ما علاقتنا بالموضوع؟ نحن نقول إننا لا نقبل أن يعالج السلاح الفلسطيني خارج المخيمات بالقوة، لأننا حريصون على الأمن والاستقرار ونعتبر الفلسطيني أخاً لنا وجندي الجيش اللبناني أخاً لنا. لكن، ثمة أشخاص لا يجدون مشكلاً في قتال الجيش اللبناني مع الفلسطيني، لأن الفلسطيني وابن الجيش اللبناني لا يعنيان لهم شيئا. أما الخطر فهو أن نسمع هتافات تطالب بالزرقاوي، لأن ذلك يعني انهم يطالبون بالتفجيرات، بتفجير حسينيات وكنائس ومساجد وسنة وشيعة وأكراد... هل هكذا نبني البلد؟

«القاعدة» في لبنان

> الزرقاوي أعلن أن الصواريخ التي أطلقت من الجنوب، كانت بتوجيه من أسامة بن لادن. ما هي معلومات «حزب الله» عن الموضوع؟

- ليست لدي معلومات خاصة، لكن لا أستبعد ذلك.

> هل الأمر سهل إلى هذا الحد؟

- في الجنوب نحن مقاومة ولسنا سلطة. هناك جيش وقوى أمنية في الجنوب. حتى في مناطق الشريط المحرر، لا يوجد أي عسكري أو مسلح من «حزب الله». هناك حواجز للجيش اللبناني ولقوى الأمن الداخلي. وبالتالي نحن موجودون على الحدود في نقاط غير علنية، حتى إذا جاء الإسرائيلي ليعتدي على بلدنا، نواجهه. هذا هو الأمر. أما ما

يحصل في هذه الضيعة أو المدينة أو الوادي، فأنا لست مسؤولا عن الأمن. وبالتالي يمكن لأي أحد أن يأتي إلى أي بستان – والجنوب واسع – ويضع صواريخ في صندوق ويصلهما بالبطارية الموقتة ويرحل، وبعد ساعة ينطلق الصاروخ.

> ألا تجد أن الأمر خطير؟

– نعم هو خطير وغير مقبول.

> إذا ما العمل؟

– لا يوجد حل لهذا الموضوع. حتى لو كان الجيش مرابطاً على الحدود. ففي المناطق التي انطلقت منها الصواريخ كان الجيش موجوداً، لكنه لم يستطع عمل شيء. الحل هو في ضبط الوضع الداخلي.

> هل ثبت أن «القاعدة» هي التي نفذت العملية؟

– ممكن، لكنني لا أستطيع التحديد. أنا اعرف ان في مخيم عين الحلوة بعض الأشخاص المبايعين للزرقاوي. ونحن نعتبر هذه العملية خطأ، لأننا نعتبر أن الكاتيوشا يستخدم في الاستراتيجية الدفاعية. إذا اعتدى علينا الإسرائيلي نرد عليه بالكاتيوشا، لكن الكاتيوشا ليس سلاح عملية جهادية. سلاح العملية الجهادية هو مهاجمة موقع أو آلية أو دورية أو زرع عبوة، هذا هو تاريخ المقاومة. نحن لم نستخدم الكاتيوشا إلا في حال رد الفعل. أما أن نطلق الصواريخ من دون سبب، فهذا مخالف لاستراتيجيتنا ولا نوافق عليه.

>هل تشعرون بإمكان حصول صدام بين «حزب الله» و«القاعدة» في المرحلة المقبلة؟

– من المفترض أن هذا الأمر مستبعد.

لبنان والنووي الإيراني

> يبدو الرئيس احمدي نجاد كأنما ينقل إيران إلى موقع الهجوم. هناك سؤال يقول: إذا أفقنا ذات يوم على طائرات تقصف المفاعل النووي الإيراني، فإن «حزب الله» سيمطر

إسرائيل بكمية من الصواريخ وسيشعل الجبهة. ما رأيك في هذا السيناريو، والى أي مدى يمكننا ربط الساحة اللبنانية بالمفاعل النووي الإيراني؟

- هذه أسئلة افتراضية، لكنني اسأل هل نحن معنيون بطمأنة إسرائيل إلى هذا الحد؟! ومن هنا لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، لأنني لو أجبت بالإيجاب لفتحت على نفسي مشكلاً منذ الآن. وإذا أجبت بالنفي سيكون ذلك تطميناً لإسرائيل.

> هناك من يعتقد بأن «حزب الله» يحمّل لبنان أثقالاً وأعباء تفوق قدرته عبر هذه العلاقة الاستراتيجية مع سوريه وإيران. هذا التحالف يدعم المقاومة، لكن هذه المعركة تعوق انضمام الحزب إلى صيغة استقلال واستقرار، ما هو رأيك؟

- فليشرحوا لنا ما هي هذه الأعباء.

> هناك أشخاص يستنتجون أن الدور الإقليمي لـ «حزب الله» يمنعه من تقديم تنازلات في الداخل اللبناني وربما يحول دون استكمال عناصر الاستقلال والاستقرار؟ ما هي التنازلات المطلوبة في الداخل لمصلحة الوطن ولم يقدمها «حزب الله».

-«حزب الله» موجود في الجنوب كمقاومة. ويقوم بين فترة وأخرى بعملية تذكيرية ليقول أن مزارع شبعا ما زالت محتلة، وهناك موضوع الأسرى الذي يحتاج إلى حل والخروقات الإسرائيلية التي نتعاطى معها بمسؤولية. الحزب موجود كعامل توازن حتى لا يعتدي الإسرائيلي على لبنان بحجة وغير حجة. ودوره هو حماية لبنان في ما خص الصراع العربي- الإسرائيلي. طبعاً في الإعلام والسياسة نقف مع الانتفاضة الفلسطينية، لكن كلنا مع الانتفاضة وليس «حزب الله» فقط. جزء كبير من الفضائيات العربية والإعلام العربي مع الانتفاضة مثلنا ويدعمها. هذا هو الحد الأدنى، أن تقف إلى جانب الشعب الفلسطيني في الإعلام والسياسة سواء كان معك سلاح أم لا.

www.liilas.com/vb3
RAYAHEENA

الفيتو الإيراني

> هل هناك مصلحة عربية في تحول إيران دولة كبرى في المنطقة؟ مثلا، هل يتوجب على الرئيس السنيورة إذا أراد تشكيل حكومة أن يعالج إضافة إلى الفيتو السوري (في حال وجوده) آخر إيرانياً؟

– هذا الموضوع مرتبط بفهم الناس لإيران. نحن موجودون في لبنان، وشئنا أم أبينا ينظر الناس إلينا كقوة لإيران أو كشكل من أشكال النفوذ. إذا كان ذلك صحيحاً أم خطأ بحث آخر. نحن لبنانيون وإدارتنا لبنانية وقيادتنا لبنانية. ندخل إلى الحكومة أو نخرج منها عندما نريد ذلك. وإيران لا تتدخل في شيء لا معنا ولا مع الحكومة اللبنانية، مع العلم انه إذا أرادت إيران أن تمارس نفوذها بناء على هذه النظرية فهذا هو الوقت، على اعتبار أن «حزب الله» اليوم، من دون نقاش، اكبر حزب سياسي في البلد، بغض النظر عن عدد النواب لأن هذا له علاقة بقانون الانتخاب، أو هو على الأقل من اكبر الأحزاب السياسية وقوة لا يستهان بها على كل صعيد، وهو محسوب على إيران. ليقدموا لنا مثلاً واحداً على تدخل إيران في الساحة الداخلية أو أمراً واحداً احتاج الرئيس السنيورة أو غيره أن يذهب إلى إيران لمعالجته. هذا واقع قائم. أنا لم أجد حتى اليوم أن إيران تتصرف بهذه الطريقة. حتى في العراق هي لا تقوم بهذا الأمر. من يتصور أن هناك قوى سياسية عراقية تنفذ أوامر إيرانية مخطئ. هناك علاقة متينة بيننا وبين إيران، لكن هذا أمر ومسألة أن إيران تستفيد من احترامنا لها للتدخل في شؤوننا أمر آخر، وهذا لم يتم. الائتلاف العراقي الموحد كتلة برلمانية كبيرة ومن حقه ترشيح رئيس وزراء، هل يتصور أحد أن إيران تقول للائتلاف أن يسمي (ابراهيم) الجعفري ولا يسمي (عادل) عبد المهدي أو غيره؟ هذا لم يحصل.

> من الملاحظ أن إيران تستكمل جمع الأوراق: خالد مشعل يذهب إلى هناك ليعلن التحالف، ورمضان شلح ليس محتاجاً ليذهب ليكون متحالفاً؟

– الفصائل الفلسطينية قرارها مستقل. هل تنفذ أوامر إيرانية؟ اسألوها لتؤكد ما قلته. حتى التليفونات مراقبة.

> هل يمكن أن نصل إلى حد أن نختار بين الحقيقة وبين الاستقرار؟

– في رأيي ليس هناك تناقض بين الأمرين.

> حتى لو وصل التحقيق القضائي إلى أن الفاعل ينتمي إلى جهاز معين؟

– إذا كشف التحقيق الفاعل، ففي الحد الأدنى سيكون هناك إجماع لبناني ضد الفاعل. وعندما يكون هناك إجماع لبناني حقيقي، لن يتمكن أحد من المس بالاستقرار. استقرار لبنان يتهدد في ظل انقسامات اللبنانيين وخلافاتهم.

> هل يستحق استقرار لبنان وسوريه وتجاوز هذه الأزمة أن نبحث عن مخرج لا عن الحقيقة؟

– لم يطرح أحد فكرة البحث عن مخرج. نريد الحقيقة. وأنا من الأشخاص الذي يصرون على كشف الحقيقة ليس اقل من سعد الدين الحريري. وأنا أقول إن هذه الحقيقة عندما ستكشف ستترك انعكاسات كبرى على لبنان والمنطقة.

> هل ترى أن سياسة الرئيس الإيراني مستفزة إلى حد ما؟

– في الموضوع الإسرائيلي فقط، أما في الموضوع النووي فالسياسة نفسها ما زالت متبعة كما في زمن السيد محمد خاتمي. وهذه السياسة في الموضوع النووي محل إجماع داخلي في إيران.

في الموضوع الإسرائيلي أزعجت السياسة الإيرانية البعض في المنطقة وأحرجت البعض الآخر. وفي رأيي أن (محمود) احمدي نجاد قال ما يجول في خاطر ومشاعر ١,٤ بليون من المسلمين في العالم. وأقدر انه لما تحدث عن موضوع المحرقة وفكرة اخذ إسرائيل إلى كندا أو ألمانيا أو ألاسكا، فقد عبر عما يجول في ضمير بليون و ٣٩٠ مليون مسلم، والبقية سأسيء الظن بهم وأقول إن كلام نجاد أزعجهم. أما الأكثرية ففرحوا واعتبروا انه يعبر عن مشاعرهم وقناعاتهم التي لا يمكنهم التعبير عنها نتيجة

الظروف الدولية والإقليمية والأنظمة والحكام. فما هي المشكلة من خطاب نجاد ضد إسرائيل؟ هل يضر ذلك بالعرب؟ اعتقد أننا نستفيد.

الفصل الرابع

كيف حقق حزب الله التحرير

(محطات على طريق النصر)

كانت الثمانينيات بالنسبة لحزب الله مرحلة اختبار وابتلاء كبيرين سواء على مستوى البناء الداخلي وتطهير الصفوف من الدخلاء أو على مستوى ترتيب الأولويات ليصبح العدو الصهيوني ومقاتلته هو الأهم ، ثم جاء استشهاد الشهيد راغب حرب شيخ المقاومة (١٩٨٤) ثم السيد عباس الموسوى عام (١٩٩٢) الذى يمثل نقلة نوعية هامة فى مسار الحزب ومصيره . لقد كانت السمة الغالبة لتلك المرحلة بالنسبة لحزب الله التوتر والعمل فى بيئة غاية فى الصعوبة والارتباك سواء فيما يتعلق بالبناء السياسى للحزب أو العلاقات مع سوريه أو التعاطى مع الواقع السياسى اللبنانى ، كما كانت هناك أطراف عديدة مسئولة عن المقاومة والقيام بعمليات ضد القوات الإسرائيلية المحتلة سواء بالإدعاء أو بمباشرة المقاومة الفعلية الا إن هذه المرحلة تميزت بالاستقرار التنظيمى والسياسى الحزبى وبناء علاقات استراتيجية مع سوريه كما لاقت المقاومة دعماً ومساندة عربية واسلامية واسعة .

تجلت أهم مظاهر الاستقرار الحزبى فى سهولة اختيار سماحة السيد حسن نصر الله أميناً عاماً خلفاً لسماحة السيد عباس الموسوى (رضوان الله عليه) والسيد نصر الله هو أحد أهم قيادات الحزب وأحد مؤسسيه وهو تلميذ للسيد الموسوى فى مدرسة الامام المنتظر فى بعلبك ، وكان يشغل موقعاً مهماً فى المكتب السياسى لحركة أمل وقت الاجتياح فى ١٩٨٢ ، وهو حاصل على درجة (درس خاص) فى المذهب الشيعى الجعفرى وكان يشغل منصب رئيس الهيئة التنفيذية ثم مهمة التعبئة الفكرية قبل استشهاد السيد عباس الموسوى (سيد شهداء المقاومة الإسلامية) وبعد استشهاده كلفت الشورى السيد نصر الله ليكون أميناً عاماً للحزب ليقوده فى مرحلة دقيقة وبالغة

www.liilas.com/vb3 RAYAHEEN

الصعوبة الى تحقيق النصر ، فى هذه المرحلة رفعت المقاومة من أدائها العسكرى وأخذ عناصرها يحترفون القتال بعدما باتوا فى مواجهة مباشرة مع أحد أقوى الجيوش فى العالم .

تشكلت على طول الجبهة أربعة محاور تغطى المنطقة الممتدة من الساحل قرب صور حتى البقاع الغربى ، وزودت هذه المحاور بالرجال والعتاد حتى تكون مستقلة فى الدفاع عن المنطقة اذا دعت الحاجة دون العودة الى القيادة أو طلب الاسناد ، ولم يعد الإسرائيليون وحدهم مَّن يطلقون النار ، وفُرض عليهم البقاء لأوقات طويلة فى المخابئ والحصون نظراً لأن نيران المقاومين تطلق من مواقع غير ثابتة وغير مكشوفة يصعب رصدها أو استهدافها فقد اعتمدت على أسلوب المناورة الميدانية التى جعلت القوات المحتلة فى حيرة واستحدثت أساليب عديدة كزرع العبوات ، ونصب الكمائن ، والإغارات ، والإسناد النارى للتغطية والانسحاب ، والكثافة النارية للتمهيد الهجومى ، كل هذا جعل الخبراء الإسرائيليين يشعرون بقلق بالغ لتلك الندية فى القتال.

لم يكن هناك عائق أمام المقاومة للسيطرة على الجنوب والتفوق على قوات الاحتلال الا الخوف على سلامة المدنيين وحمايتهم من وحشية الهجوم الإسرائيلى ، ولهذا بدأت قيادة الحزب تبحث عن أسلوب للتعامل مع هذا الوضع ، وكان القرار هو التعامل مع العدو بالمثل واستهداف المستوطنات الشمالية فى الجليل بالكاتيوشا.

النصف الأول من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٣ المقاومة الإسلامية تقوم بعملية أوقعت خمسة قتلى ، وفى يوم ٢٢ من الشهر نفسه عملية اخرى ضد تسعة مواقع إسرائيلية ولحدية إضافة الى استهداف دوريات وبدأ معها عملية اطلاق نارى لمنع القوات المحتلة من التقدم وتأمين انسحاب المجاهدين وتم تنفيذ المهمة بدقة متناهية . ساعد على ذلك تلك الحرب الأمنية التى اعتمدها الحزب لمعرفة معلومات كافية عن المواقع الإسرائيلية واللحدية وعدد أفرادها ، وأسلحتها ، وطرق الإمداد ، والدوريات والمراكز

السرية ، ومنازل العناصر العميلة ، كل هذا كان له أبلغ الأثر فـى تنفيـذ العمليـات الكبرى بدقة ونجاح ٠

كانت إسرائيل وأمريكا تسعى لوضع حد لتلك القوى المتعاظمة فى الجنوب اللبنانى لفك الارتباط السورى اللبنانى وحتى يتمكنا من تنفيذ صفقة سياسية مع الحكومة اللبنانيـة لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتى مع منظمة التحرير الفلسطينية والمعروفة بـ (أوسلو) وفى مطلع حزيران/يونيو ازداد الضغط الأمريكى على الحكومة اللبنانية مع تزايد الحشـود العسكرية الصهيونية فى الجنوب اللبنانى

الحرب السابعة تموز/ يوليو ٩٣ (*) :

فى العاشرة والنصف صباح يوم الأحد ٢٥ تموز (يوليو) أغارت الطائرات الحربيـة الإسرائيلية على الجنوب والبقاع وفتحت نيرانها واستمر القصف يتسع نطاقه مما كان يعنى أنها ليس اجراء أمنياً معتاداً ، ودعا حزب الله الى اجتماع لقيادة المقاومة لتدارس الموقف ووضع التصورات حول هذا الهجوم وكيفية التعامل معه وتم وضـع الخطـة والتى كان هدفها :

- المبادرة بالهجوم على المواقع الإسرائيلية ٠
- استخدام قوة نيران كثيفة ضد المواقع والمستوطنات الإسرائيلية شمال الجليل
- حث الأهالى على الصمود وألا يتركوا قراهم مع توفير كل ما يلزم الأهالى ٠

كانت الهجمات الإسرائيلية تستهدف إحراق الأرض لإحداث عملية نزوح للسكان باتجاه بيروت للضغط على الحكومة مع كسر إرادة المقاومة وحذفها من المعادلة العسـكرية ولتوسيع الحزام الأمنى ليشمل الجنوب كله ودفع الحكومة الـى طاولـة المفاوضـات وفرض شرط مبدئي عليها هو نزع سلاح حزب الله حتى يتوقف القصـف ، ونفـذت إسرائيل نحو هذا الهدف ١٣٠٠ غارة وأطلقت ٣٠ ألف قذيفة على مدى سبعة أيام ٠

---

* الحرب السابعة هى المعركة التى كانت بين العرب واسرائيل فى لبنان والتى يمكن أن نسميها حرباً نظراً لطولها وكثرة السلاح المستخدم فيها وتنوع العمليات العسكرية وقد وقعت الحرب الأولى عام ١٩٤٨ والثانية ١٩٥٦ ، والثالثة ١٩٦٧ ، والرابعة ١٩٧٣ ، والخامسة ١٩٧٨ ، والسادسة ١٩٨٢ ، والسابعة هى ١٩٩٣ – لمزيد من الاطلاع انظر الحرب الثامنة المركز الاستشارى للدراسات والتوثيق– بيروت ١٩٩٦

بدأ حزب الله فى تنفيذ خطته بفتح نيرانه على المواقع الإسرائيلية فى بعشيت والدبشة والشومرية ومواقع الميليشيات العميلة مع استهداف مستوطنات الجليل بالكاتيوشا .

استطاع حزب الله أن يمتلك الزمام بيديه من توحيد الجبهة الداخلية وتثبيت الأهالى فى القرى وإجبار سكان المستوطنات الشمالية الإسرائيلية على النزوح الى داخل (إسرائيل) لممارسة ضغط على الحكومة الإسرائيلية والرأى العام ، وبدأ يلوح فى الأفق أزمة داخلية ومأزق سياسى لحكومة الكيان وبدأت تستنجد بأمريكا ، فتحركت دبلوماسيتها لتدين الهجوم على إسرائيل وتحمل إيران وحزب الله المسئولية وتدعو الى وقف العنف وضبط النفس .

أجرى وزير خارجية أمريكا كريستوفر اتصالاً برئيس الحكومة اللبنانى رفيق الحريرى ووزير خارجية سوريه فاروق الشرع وكان المطروح اتفاقاً لوقف اطلاق النار .

توجهت الأنظار الى سوريه حيث حضر وزير خارجية إيران د. على أكبر ولايتى للمشاركة فى مساندة حزب الله وبدأت اجتماعات بين وفد حزب الله وعلى ولايتى ووقفت سوريه ولبنان لمساندة حزب الله ومنع ممارسة أى ضغوط عليه وحدد الحزب شروطه وهى :

- منع تحليق الطائرات الحربية فوق لبنان ووقف الهجمات التى تستهدف المدنيين.

رأت سوريه وإيران امكانية تحقيق هذا الشرط فى صورة تحييد المدنيين من الطرفين وتم إبلاغ كريستوفر بهذه الصيغة ونظراً لصعوبة الموقف الإسرائيلى فقد وافق وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار على هذا الشرط وأن يبدأ فى السادسة مساء يوم ٣١ تموز(يوليو) ١٩٩٣ .

حاول الأمريكان والصهاينة الالتفاف حول الاتفاق وعمل ترتيبات أمنية مع الجانب اللبنانى بعيداً عن سوريه لنشر قوات الجيش اللبنانى حتى يتحمل مسئولية أى نشاط لحزب الله ،ووقف العمليات العسكرية فى الشريط المحتل.

هذا ما عبر عنه رابين فى هاآرتس (فى إطار التفاهم ترسل قوة من الجيش اللبنانى للانتشار على طول الجبهة ولو نفذ ذلك لأمكن التغلب على قسم من نشاط حزب الله).

وفى الأول من آب (أغسطس) ١٩٩٣ اجتمع مجلس الوزراء اللبنانى واتخذ قراراً بنشر الجيش فى منطقة عمليات القوات الدولية وشكلت لجنة برئاسة الحريرى وعضوية وزيرى الدفاع والخارجية لاجراء الترتيبات والتنفيذ ولقى هذا القرار موافقة من الأمم المتحدة وترحيباً من أمريكا وإسرائيل .

فى اليوم الثانى للاجتماع اجتمع مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رئيس الجمهورية الياس الهراوى وقرر وقف العمل بتراخيص السلاح ونقله دون الرجوع الى وزارة الدفاع تحت دعوى (منع الفتنة والفوضى) ، وأعلن سماحة الأمين العام لحزب الله : (اذا كان البعض يريد للجيش أن ينتشر فليفتش عن عنوان غير الفتنة لأنه ليس هناك فتنة) ، وعاد سماحته فأعلن ان هناك معلومات متداولة اذا صحت يمكن ان تنتج عنها فضيحة سياسية بمستوى الخيانة . أرسل الحزب أحد قياديه الحاج / حسين الخليل الى دمشق والتى لم يعرف مسئولوها هذا القرار الا عبر وسائل الاعلام ، وما كان يدعو الى الريب هو إخفاء هذا الأمر عن سوريه مما يعنى وجود ترتيبات مع الأمريكان بالإضافة الى عنوان (الفتنة والفوضى) .

بعد حوار هاتفى بين الرئيسين السورى واللبنانى بدأت لبنان تتصل من الأمر وانقلبت السياسة اللبنانية على نفسها وانكشف الوضع السياسى على ازدواجية واضحة ، وأعلن رئيس المجلس النيابى (أن هذه الخطوة لى شرف المشاركة فيها وأنه لا خوف على المقاومة ولا على الجيش) ورفض رئيس الحكومة نزع سلاح حزب الله .

وفى الوقت الذى كان فيه حزب الله يحصد النتائج السياسية لانتصاره ، كان يتحرك على خط آخر لمساعدة الأهالى للتغلب على الأضرار الناجمة عن القصف الصهيونى ، وبدأت خطة الترميم وإعادة الإعمار فبدأت عناصر حزب الله تضع السلاح جانباً وتباشر أعمال الإصلاح والترميم وفتح الطرق وتأمين المساكن وما يلزم العائدين من

خلال مؤسسة (جهاد البناء) التابعة لحزب الله ، وتم ترميم واصلاح المساكن وفتح ورش عمل وتجنيد العديد من العمال والفنيين والمهندسين ودفع تعويضات للذين هدمت منازلهم ليتحد الحزب والشعب فى خندق المقاومة . حاول الإسرائيليون تحصيل مكسب إعلامى بعد الخسائر العسكرية والسياسية الكبيرة ، لإقناع الرأى العام أن الحصيلة النهائية كانت لصالحهم ، جاء رد حزب الله على هذه الدعاية عملياً حيث قامت المقاومة فى ١٩ آب / أغسطس ١٩٩٣ بعمليتين فى بلدة شيخين نتج عنها مقتل تسعة جنود وجرح خمسة فى الوقت الذى خيم فيه الهدوء على الجنوب وأصبح الجيش الإسرائيلى مكبلاً وعليه أن يتكيف مع الوضع الجديد.

مؤتمر شرم الشيخ

مع قرب انتهاء شباط (فبراير) ١٩٩٦ وطوال تسعة أيام من ٢٤ شباط / فبراير حتى ١٤ آذار/مارس كانت إسرائيل تتعرض لأصعب حرب استنزاف فى تاريخها حيث قامت حركتا الجهاد الاسلامى فى فلسطين و(حماس) بتنفيذ مجموعة من العمليات استهدفت حسب تعبير بنيامين اليعازر (تدمير معنويات الشعب والجيش) فأوقعت فى صفوفه ما يقرب من ألف مصاب وحوالى ٢٠٠ قتيل ، ومن أجل مساعدة إسرائيل المنهارة معنوياً أطلق الرئيس الامريكى بيل كلينتون فى ٦ آذار (مارس) فكرة عقد مؤتمر دولى لبحث الارهاب فى الشرق الأوسط ، وأعلن بيريز أن إسرائيل وأمريكا تسعى لإقامة تحالف دولى لضرب الارهاب ولعزل إيران التى توفر الدعم المالى والسياسى ، وأن قمة شرم الشيخ ستكون تعبيراً عن الدعم الدولى لإسرائيل فى معركتها وحدد أعداءه فى المنطقة (حزب الله ، الجهاد ، حماس) .

عقد المؤتمر فى شرم الشيخ بمصر فى ١٣ آذار (مارس) ١٩٩٦ تحت اسم (صُناع السلام) وجاء بيانه الختامى بوجوب تقديم الدعم الكامل لعملية السلام ومنع أعداء السلام من تدمير فرصة السلام الحقيقية فى المنطقة ، ودعا الى اجراءات ثنائية وواقعية لمحاربة الارهاب ، وفى المقابل كانت تحليلات معظم الصحف ووسائل

www.liilas.com/vb3
KRAYAHEENA